

روايات مصرية للجيب

زهور

٤٠

بلا أمل

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

بلا أمل

حتى عندما ننتزع سمكة صغيرة من الماء ، ونلقِى بها فى قلب صحراء قاحلة ، يبقَى لديها الأمل فى أن تمطر السماء ، فتحيا ..

فالسمكة قد تحيا بلا ماء ، ولكنها لن تحيا أبدًا بلا أمل ..

د . نبيل فاروق

١ ـ هى ..

فاتنة هى ..

حقًا فاتنة ..

ربما أنها ليست خارقة الجمال ، كما قد يُوحِى الوصف فى البداية ..

ولا هى شديدة التأنق ..

ولا حتى صاحبة قوام ڤينوسى خلّاب ..

إنها ـ وبكل هذه المقاييس ـ فتاة عادية ..

ولكنها فاتنة ..

فى نظرى على الأقل ..

إنها من ذلك النوع النادر ، الذى يجمع ما بين البساطة والثقة بالنفس ..

ومنذ عرفتها ـ مع سنوات دراستى الجامعية ـ وهى تلفت انتباهى فى شدة ..

صحيح أننى لم أقترب منها كثيرًا ..

ولم أصادقها إلا منذ عدد من السنوات ، لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ..

وصحيح أننى — عندما تزوَّجت — اخترت أخرى تناقضها تمامًا ، وعن اقتناع تام ..

ولكنها كانت وما زالت تفتِننى ..

ولست وحدى فى هذا ..

إنها — كما لاحظت — تفتِن العديد من الشباب بروحها المرحة ، وبساطتها المتناهية ، وتلك الضحكة المطلَّة دوْمًا من عينيها ، وهذه المودَّة الرائعة فى تعاملاتها ، وذلك المزيج المفتوح من أذنين وقلب ، يمكنك أن تفرغ فيهما دوْمًا كل أحزانك ..

كانت وما زالت مستمعة جيِّدة ، ومتعاطفة أكثر جودة ..

وكتومة ..

كتومة إلى حدّ كبير ..

معها يمكنك أن تكشف كل أوراقك ، وأنت واثق من أن أحدًا غيرها لن يطالعها ..

ومن السهل أن تقع فى حُبِّها ، دون أن تدرى ، حتى وأنت تحبّ أخرى ..

ولكن من الصعب أن تغامر بالزواج منها ..

وهذه هى مشكلتها ..

ومأساتها ..

أو ربما أن مشكلتها الحقيقية هى أنها تمنح ثقتها فى سهولة للجميع ..

أو هى مزيج من هذا وذاك ..

وربما كانت كلمة مأساة هذه مصطلحًا مبالغًا فيه لحياتها ..

فعلى الرغم من كل ما واجهها من مشكلات وعقبات ..

ومن خيانات ..

وجراح ..

على الرغم من كل هذا لم أرها يومًا باكية أو حزينة ..

كانت دوْمًا مبتسمة مرحة ..

مُفْعَمَة بالحيويَّة ..

بالحبّ ..

دوْمًا تحمل ذلك القلب الحنون المفتوح ..

والآذان الصاغية ..

لم أرَ عينيها أبدًا دون تلك الضحكة المتراقصة فيهما ..

أبدًا ..

إلا فى ذلك اليوم ..

وكنت أعلم أن هذا سيحدث ..

كنت أعلم أن قناع المرح الزائف ، الذى تخفى به آلامها وجراحها ، لن يصمد إلى الأبد ..

كنت أعلم أنه سينهار يومًا ، ليكشف عن تلك الطبيعة الكامنة فى أعماقها ، وذلك الوجه الذى يخفيه أبدا ..

عن الحزن ..

والألم ..

وعلى الرغم من ثقتى فى حدوث ذلك يومًا ، فقد هالنى مرآها ..

هالنى أن أراها شاحبة الوجه هكذا ..

كل الحيويَّة ضاعت وخبَت ..

تلك الضحكة فى العينين سجنتها هالات سوداء من السُّهد والقلق ..

ابتسامة الشفتين ذابت فى نهر من الحزن والمرارة ..

عندما رأيتها فى ذلك اليوم ، كدت أنكر أنها هى ..

كدت أتهمها بأنها أخرى ، تنتحل وجه تلك الفاتنة ..

ولكن أعماق أنكرت علىَّ دهشتى ..

لِمَ يدهشنى هذا ؟

ألم أكن أتوقَّعه منذ زمن ؟..

ألم أكن — على نحو أو آخر — أنتظره ؟..

لقد حدث ما تنبأت به إذن ..

وكم أشعر بالحزن من أجل ذلك ..

ومن أجلها ..

وكم تمنيت أن أسألها عن سرّ حزنها ..

وأن أحتل موقعها مرَّة ..

أن أمنحها ذلك القلب المفتوح ..

وتلك الآذان الصاغية ..

ولكننى لم أفعل ..

لم أستطع ..

ولم أجرؤ ..

والواقع أننى لم أكن أحتاج إلى معرفة قصتها ..

فأنا أعرفها ..

أعرفها بكل التفاصيل ..

أعرف حتى ما لا تتصوَّر هى أننى أعرفه ..

ولكنها تحتاج إلى إفراغ ما يلتهم أعماقها ..

تحتاج إلى قلب مفتوح ، وإلى آذان صاغية ..

أتريدون معرفة قصتها ؟..

أيدفعكم فُضُولكم إلى كشف سرّ حزنها ؟

حسنًا .. تعالوا معى نَغُصْ فى بحر الزمن ..

ونَعُدْ إلى البداية ..

إلى بداية قصتها ..

* * *

٢ ـ البداية ..

لايمكننى أن أدّعى أننى أعرف بداية حياة (إنجى) ـ وهذا هو اسمها ـ لأننى ـ كما سبق أن قلت ـ لم ألتق بها إلا مع دراستى الجامعية ..

ولكننى أعلم كيف بدأت هى حياتها الجامعية ..

لقد رأيتها فى أوّل أيام دراستها الجامعية ..

وهذه ـ بالنسبة لى ـ هى البداية ..

كنت يومها أبدأ أوّل أيام عامى الدراسى الرابع فى كليتى العملية ، التى يتهافت خريجو الثانوية العامة لدخولها والالتحاق بصفوفها ، وكانت هى تبدأ عامها الأوّل فى كلية أخرى عمليّة مرموقة ، كانت تشارك كليتى نفس المبنى ، فى بلدتى الصغيرة ، التى تتوسّط الدلتا ..

وبينما كنت أتحاور مع بعض زملاء الدراسة ، وأتبادل معهم التحيات وعبارات اللقاء بعد طول غياب ، رأيتها ..

كانت تعبُر فناء الكلية فى خُطوات مرحة سريعة ، وشعرها

الكستنائى القصير يتطاير حول وجهها المستطيل ، وعيناها تحملان نفس الضحكة المرتسمة على شفتيها ..

وكانت ترتدى ثوبًا بسيطًا شبابى الطراز ، بسيط التطريز ، أنيق المظهر ..

وأنا لدى ـ منذ حداثتى ـ نظرية خاصة بثياب النساء ، وعلاقتها بشخصيّاتهن ..

إننى أعتبر ثوب المرأة دليلًا على شخصيتها وانتمائها ، وثقتها بنفسها ..

فالمرأة البرجوازية ، ذات الدخل المحدود ، الذى يسمح لها بشراء ثوب جيّد ، ولكنه ليس ثمينًا ، تحرص دوْمًا على أن تختار لثوبها شكلًا حديثًا ، أو أنيقًا ، أو تضيف إليه حلية جذّابة ، حتى يبدو أثمن من حقيقته ..

وذات الطابع الهستيرى ، تميل إلى الأزياء الصارخة الألوان ، العجيبة الطراز ، التى تلفت انتباه الجميع إليها حتمًا ..

والثرية المتباهية تختار ثوبًا غالى الثمن ، وطرازًا من أشهر مجلات الأزياء ، وعددًا من الحُلىّ البرّاقة ..

وهناك نوع أحبه وأفضله دوْمًا ..

إنه تلك الفتاة التى تثق بجمالها ، إلى حدّ يجعلها تختار دوْمًا

ثوبًا بسيطًا ، وهى على قناعة تامة بأن جمالها سيجعل منه تحفة مكتملة ..

ــ و (إنجى) من هذا النوع ..

لم تكن ــ كما قلت ــ باهرة الحسْن ، ولكن جمالها الرقيق ، وروحها المرحة ، وثقتها الشديدة بنفسها ، كلها جعلت منها فاتنة ..

والدليل على ذلك أن كل الأنظار اتجهت إليها ..

ولأوَّل مرَّة فى حياتى ، رَاوَدَتْنى الرغبة فى تعرُّف فتاة بذاتها ..

وكدت أُقدِم على ذلك ..

ولكننى لم أفعل ..

استوقفتنى هى ، عندما التفتت بكل المرح إلى شاب يتبعها ، وهتفت به فى لهفة :

ــ (مجدى) .. هيَّا .

كانت عيناها تحملان شعلة اهتمام به ، وصوتها يحمل رنَّة لهفة إليه ، حتى أننى أدركت على الفور أنها تميل إليه ..

ولقد أدهشنى ذلك حقًّا ..

أدهشنى ؛ لأن هذا يومها الأوَّل فى الكلية ، ولأن ذلك الشاب لم يَبْدُ لى شديد الاهتمام بها ، كشعورها نحوه ..

لقد بدا ــ على العكس ــ مزهوًّا ، متباهيًا بأن الفتاة التى جذبت اهتمام الجميع تنتمى إليه هو ..

وأيقنت لحظتها أن هذه العلاقة لن تستمر ..

ولن تبلغ منتهاها بسهولة ..

وعندما توطَّدت صلتى بـ (إنجى) ، بعد سنوات من هذا اللقاء الأوَّل ، علمت منها أن يقينى هذا لم ينتقل إليها أبدًا ..

لقد كانت ــ على العكس ــ واثقة تمامًا من صحة هذه العلاقة ، ومن استمراريتها ..

هذا ، لأنها تثق فى الجميع ..

وحتى بعد أن توطَّدت علاقتى بـ (إنجى) ــ بعد زواجى ــ فهى لم تقصَّ علىَّ أبدًا تفاصيل حياتها ، ولا تفاصيل ما لقيته من نكبات ، وإن كنت قد عرفت الكثير من تلك التفاصيل ، بما يكفى لأن أروى اليوم قصة حياتها ، منذ بدأت دراستها الجامعية ، وحتى الآن ، دون أن أتجاوز الحقيقة بكثير ، أو أميل عن جانب الواقع طويلًا ..

واستمحيكم عذرًا فى أننى لن أذكر أبدًا كيف عرفت كل هذه التفاصيل ..

وأعدكم فى الوقت نفسه بأن أذكر كل ما عرفته عن حياتها عن (إنجى) ..

* * *

الانتقال من الدراسة الثانوية إلى حياة الجامعة أمر شاق ، يُقدم عليه الفتيان والفتيات عادة بنوع من الحذر ، يختلط باللهفة والفُضول ، وبذكريات مُبهمة عن أيام الاختلاط الأولى فى المدارس الابتدائية ..

ومع بداية عامهم الدراسى الأوَّل ، يُخيَّل إليك أن كلًّا من الجنسين يبذل جهدًا مضنيًا ليبدو طبيعيًّا مرحًا ، وليخفى عن الآخرين تلك الرَّهبة ، التى تجتاح أعماقه ، مع هذا التحوُّل الجديد فى حياته ..

ولكن (إنجى) لم تُعانِ من هذا ..

لقد عاشت حياتها كلها ، ومنذ طفولتها ، وهى تختلط بأبناء عمومتها ، وأبناء أخوالها ، من فتيان فى مثل عمرها ، أو أكبر أو أصغر بما يتجاوز العامين أو الثلاثة ، مما جعلها تستقبل عامها الجامعى الأوَّل فى بساطة ومرح ، وقد أسعدها أن تنتقل إلى عالم أكثر حرِّية وانطلاقًا ، فأقبلت عليه هاشَّة باشَّة ، تتألَّق ابتسامتها على شفتيها ، وتتراقص مرحة فى عينيها ، وهى ترتدى ثوبًا بسيطًا أنيقًا ، امتزج مع جمالها الهادئ ، وروحها المنطلقة ، فصنع لوحة جذَّابة رائعة ..

ولقد بهرت تلك اللوحة (مجدى) ، فراح يتأمَّلهـــا شاردًا مشدوهًا ، وراح يتساءل فى أعماقه عما إذا كانت من ذلك النوع من الفتيات ، اللاتى يمكنه أن ينشئ معهن حوارًا ، أم .....

ودون أن يَدَع لنفسه فرصة للتفكير ، وباندفاعيته التى عُرِف بها وسط زملائه وأقرانه ، اقترب منها ، وتنحنح قائلًا :

ــ صباح الخير .

التفتت إليه بعينيها العسليتين الضاحكتين ، واتسعت ابتسامتها فى بساطة ، وهى تجيبه :

ــ صباح الخير .

أدهشته بساطة استجابتها ، وهو الذى استعدَّ لجولة طويلة من المحاورات والمناورات ، كعادة فتيات مدينته الصغيرة ، اللاتى يحملن فى أعماقهن حذر الريف وخبثه ، وأربكه أسلوبها الخالى من التعقيدات ، حتى أنه ازدَرَدَ لُعَابه فى تلعثم ، وغمغم فى خُفوت :

ــ اسمى (مجدى) .. طالب جديد فى كلية الطب .

أجابته بنفس البساطة ، وابتسامتها تزيِّن شفتيها :

ــ وأنا (إنجى) .. طالبة جديدة بكلية الصيدلة .

تطلَّع إليها لحظات فى حَيْرَة ، وقد أعجزته بساطتها عن مواصلة الحوار ، فأطلقت هى ضحكة هادئة مرحة ، وقالت :

ــ أتعلم أننا سنتلقَّى علومنا معًا فى السنة الإعدادية ؟(*) .

غمغم :

ــ نعم .. أعلم ذلك .

(*) كان هذا النظام متبعًا قديمًا ، حيث كانت هناك سنة إعدادية ، يشترك فيها طلبة كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان .

ضحكت قائلة :

ـــ لست أدرى ما فائدتها !.. إن علومها تشبه علوم الثانوية العامة ، وينبغى أن يفكّروا جدّيًا فى إلغائها .

كانت منطلقة فى الحديث فى بساطة وتلقائية ، حتى أن حاجز الحرج بينهما قد ذاب فى أعماقه دفعة واحدة ، وهو يقول فى حماس :

ـــ لا ريب أنهم سيلغونها يومًا .. لقد سمعت تصريحًا من وزير التعليم بذلك .

ضحكت قائلة :

ـــ وهل تصدق تصريحات المسئولين ؟

ضحك بدوره ، وهو يقول :

ـــ هذا أفضل من مواجهة الواقع بكل مرارته .

اتصل الحديث بينهما فى يُسر وسهولة ، وبهرته شخصيتها كثيرًا ، وراح يلتهم وجهها وابتسامتها التهامًا ، حتى حانت لحظة أوّل محاضراتهما ، فقالت هى فى لهفة وحماس :

ـــ ما رأيك أن نحضر المحاضرة الأولى معًا ؟

أجابها فى مزيج من الدهشة واللهفة :

ـــ أحقًا ؟!.. لقد خشيت أن أطلب منك ذلك !

رفعت حاجبيها مغمغمة :

ـــ خشيت ؟!.. ولماذا ؟

ارتبك وهو يجيب :

ـــ إن مجتمعنا مغلق كما تعلمين ، ولقد خشيت أن يحرجك هذا ، و .....

قاطعته بضحكة مرحة ، وهى تقول :

ـــ دَعْك من هذا المجتمع ، فنحن الآن فى الجامعة ، ومادامو قد سمحوا لنا بالاختلاط ، فكيف يعترضون على تجاورنا فى قاعة المحاضرات .

قالتها واندفعت نحو المدرّج فى مرح ونشاط ، قبل أن تلتفت إليه هاتفة :

ـــ هيًا يا (مجدى) .. هيًا .

خُيّل إليه ، كما خُيّل إلىّ فى اللحظة ذاتها ، أن صوتها وعينيها يحملان الكثير من اللهفة والشوق ، ولم يدرك كلانا أن هذا هو أسلوبها الطبيعى فى الحوار والحماس ..

لم أدرك أنا على الأقل هذا إلا مؤخرًا ..

وعندما تصوّر (مجدى) أنها تخاطبه بكل اللهفة والشوق ، انتفخت أوْداجه فخرًا ، وتبعها مَزْهُوًا كالطاووس ..

وفى أوّل محاضرة لهما فى الجامعة ، جلسا متجاورين ، وإن فرّقت بينهما عشرات الأشياء ..

ولم يفهم هو حرفًا واحدًا من محاضرته الأولى ، وهو يجلس

إلى جوارها مبهورًا مشدوهًا ، فى حين بدت شديدة الاهتمام بالمحاضر والمحاضرة ، حتى انتهت ساعات الاستماع ، فالتفتت إليه هاتفة :

ـــ محاضرة رائعة ، يبدو أن حياة الجامعات ستروق لى .

غمغم مبهورًا :

ـــ حقًا ؟!

ابتسمت وهى تسأله فى اهتمام :

ـــ ألم تَرُقْ لك ؟

أجابها فى حماس :

ـــ جدًا .

هتف بالكلمة وهو يلتهمها هى بعينيه ، فابتسمت فى خجل ، وغمغمت وهى تشيح بوجهها ارتباكًا :

ـــ أتعشَّم ذلك .

رَانَ عليهما الصمت لحظات ، ثم غمغم هو :

ـــ أأنت من بلدتنا هذه ؟

أجابته فى هدوء :

ـــ نعم .. لقد وِلِدت وترعرعت هنا .

تمتم وهو يهز رأسه فى حَيْرَة :

ـــ عجبًا !!

سألته فى اهتمام :

ـــ وما العجيب فى ذلك ؟

تردَّد لحظة ، ثم أجاب :

ـــ العجيب هو أننى لم ألتقِ بك من قبل !

ضحكت قائلة :

ـــ وهل من الطبيعى أن يحدث هذا ؟

أجابها فى جِدِّيَّة :

ـــ طبعًا ، فبلدتنا صغيرة إلى حدٍّ ما ، وعدد الفتيات الجميلات فيها محدود ، و .....

قاطعته وهى ترفع حاجبيها فى دهشة :

ـــ الجميلات ؟!

ارتبك قائلًا :

ـــ أغنى بنات العائلات .

ابتسمت فى هدوء ، وهى تقول :

ـــ أظن كل مخلوق فى الدنيا هو ابن عائلة ما .

غمغم فى ضيق :

ـــ إنه مجرَّد مصطلح ، نقصد به بنات الطبقة الراقية .

اعتدلت لتسأله فى اهتمام وفضول :

ـــ وما المقصود بالطبقة الراقية ؟

أدهشه سؤالها ، فغمغم :

ــ يا له من سؤال !.. إنها الطبقة الثرية ، ذات المركز الاجتماعى الجيِّد ، و .....

قاطعته مرَّة أخرى :

ــ خطأ .

عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول بصوت مستنكر :

ــ أى خطإٍ فى هذا ؟

أشارت إلى رأسها ، وهى تبتسم قائلة :

ــ الرُّقِىّ هنا .. فى العقل .. فقد يكون الإنسان ثريًّا ، وصاحب مركز مرمُوق ، ولكنه يملك عقلًا متخلِّفًا .. ولست أقصد الجُنُون بذلك ، وإنما أقصد التخلُّف الحضارىّ ، كأن يحتفظ بأفكار رجعية قديمة ، أو بتقاليد بالية سخيفة ..

بهره أسلوبها الواثق الهادئ ، فوجد نفسه يغمغم بلا وعى :

ــ صدقت .

اتسعت ابتسامتها ، وكأنما أسعدها أن يوافقها على رأيها ، وقالت :

ــ فى هذه الحالة يمكنك أن تقول إننى من بنات الطبقة الراقية ، فأبى تاجر بسيط ، على درجة معقولة من الثراء ،

ولكنه متفتِّح العقل ، يؤمن بمنح بناته حريتهن الكاملة ، خاصة وأن له ثلاث فتيات فحسب ، أما أُمى فهى سيِّدة رائعة ، وهى أكثرنا جمالًا ، ولم تبلغ الأربعين من عمرها بعد ، وعقليتها أكثر شبابًا منا ، حتى أنها تفكِّر جديًّا فى الالتحاق بالجامعة الأمريكية .

سألها فى اهتمام مشُوب باللهفة :

ــ وماذا عنك ؟

هزَّت كتفيها ، قائلة فى مرح :

ــ فتاة فى السابعة عشرة من عمرها .. طالبة بكلية الصيدلة .

غمغم :

ــ فقط ؟!

أجابته ضاحكة :

ــ حتى الآن .. نعم .

ابتسم ، وهو يقول :

ــ عجبًا !.. كيف لم نلتق من قبل ؟

قالت مبتسمة :

ــ أستظل تردِّد هذا القول دوْمًا ؟

ابتسم لابتسامتها ، وهو يقول :

ــ نعم .. طالما يدهشنى هذا .

هزت كتفيها قائلة :

— ربما أننا نقيم فى منطقتين متباعدتين .

— بلدتنا ليست كبيرة إلى هذا الحد .

— هل لديك تفسير آخر ؟

— بالطبع .

— ما هو ؟

— أننى كنت أعمى .

تطلعت إليه لحظات فى دهشة ، لم تلبث حُمرة الخجل أن تصاعدت إلى وجنتيها ، وهى تغمغم ..

— يا لك من عابث !

قالتها وشفتاها تحملان ابتسامة خجلى ، راقت لقلبه كثيرًا ، فتمتم فى هيام :

— ولِمَ لا نعبث ونمرح ؟.. إنها سنوات شبابنا .

غمغمت :

— صدقت .

وعندما بدأت المحاضرة التالية ، لم ينطق أحدهما بحرف .. أو يفهم حرفًا ..

* * *

٣ ـ الغضب ..

كان من الطبيعى أن تزداد علاقة (إنجى) بـ (مجدى) قوة ، مع مرور الوقت ..

وكان من الطبيعى أيضًا أن تُجاهِر هى بها ، وأن تمنحها صفة العلانية ، مع ثقتها الشديدة بنفسها ، واحترامها الدائم لمشاعرها ومشاعر الآخرين ..

وكأم رءوم ، راحت تغمر (مجدى) بكل حُبها وحنانها ، دون محاولة منها لإخفاء حبّها له أو لهفتها عليه ..

أما هو ، فكان يختلف ..

لقد اتخذ من حُبها له وسيلة للزَّهو والتفاخر على أقرانه ، ولإشباع غروره كرجل ، فراح يعاملها فى استهتار ، ويتعمَّد إثارة قلقها ولهفتها عليه أمام الآخرين ، ليتباهَى بذلك ..

والعجيب أنها لم تشعر بما يفعله معها ..

لقد استمرَّت تغمره بحنانها وعطفها طِيلة الوقت ..

وفى أعماقه ، كان (مجدى) يشعر دومًا بالضعف أمامها ، فقد كانت تملك كل ما يفتقده هو ..

الثقة بالنفس ..

البساطة .

والوضوح ..

ثم إنها تملك أيضًا الشجاعة على إعلان مواقفها على نحو صريح ..

وفى داخله ، كان (مجدى) يعترف بتفوُّقها عليه فى هذه المجالات ، أما فى ظاهره ، فقد كان ينكر تمامًا أنها تفوقه فى أيّة نقطة ..

وربَّما كانت محاولاته للسيطرة عليها نتيجة لشعوره بتفوُّقها الطبيعى عليه ..

ربَّما ..

وكأى شخص محدود التفكير ، رأى (مجدى) أن أفضل أسلوب لإيقاع (إنجى) تحت سيطرته هو أن يضمن حُبها الشديد له ..

ولم يَدْرِ — لمحدودية تفكيره أيضًا . أنها واقعة فى حُبّه بالفعل ..

لم يثق بذلك ..

ولقد كانت هى نظيفة فى حُبها له ..

لم تسمح له أبدًا بالاقتراب منها ، بأكثر مما تسمح زمالتهما الجامعية ..

لم تمنحه ما ترفضه قواعد اللياقة والأخلاقيات ..

وكانت تفعل ذلك فى بساطة وهدوء ، محاولة تلافى غضبه ..

حتى كان ذلك اليوم ..

كانا قد اشتركا فى واحدة من الرحلات الجامعية ، إلى مدينتى (الأقصر) و (أسوان) ، وجمعتهما سهرة مفتوحة ، فى قاعة سهرات أحد الفنادق بـ (الأقصر) ، مع مجموعة من زملائهما ، وجلس الجميع يراقبون مجموعة من الشبان والفتيات ، انهمكوا فى أداء بعض رقصات الشباب ، عندما انحنى (مجدى) نحوها ، وقال فى صوت سمعه الجميع :

— ما رأيك فى رقصة ؟

أطلقت ضحكة مرحة ، وهى تقول :

— من ؟!.. أنا ؟

أجابها فى جديَّة :

— نعم .. أنت وأنا .. ما رأيك ؟

تردَّدت لحظة ، ثم عادت تُطلق ضحكة مرحة ، وهى تقول :

— المشكلة أننى لا أجيد الرقص .

قال فى حدَّة أدهشتها :

— ومن قال إننى أجيده ؟

ويبدو أنه قد تنبَّه إلى حِدَّته ، فاستطرد فى توتُّر نشأ عن محاولته إخفاء مشاعره :

ـ كلنا سنرقص .

هتف أحد الشبان فى مرح :

ـ فكرة رائعة .

انخفض صوتها ، وتلاشى مرحها ، وهى تتمتم :

ـ ولكننى لم أفعل ذلك من قبل .

أجابها فى حدَّة :

ـ ولا أنا .

أدركت بغريزتها كأنثى أنه يستنكر رفضها لاقتراحه أمام الآخرين ، ويرفض رفضها له ، حتى ولو غلَّفت ذلك الرفض بمرح رقيق ..

وخشيت أن تسىء إليه ..

وعلى شفتيها ارتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تنهض قائلة :

ـ لا بأس .. إنها تجربة جديدة على الأقل ..

بدا الظَّفر فى وجهه ، وارتسم مع ابتسامته على شفتيه ، وهو ينهض معها ، قائلًا :

ـ نعم .. إنها تجربة جديدة .

تركته يحتوى كفَّها الرقيقة فى راحته ، ويقودها إلى حَلْبَة

الرقص ، وراحت تشاركه تلك الرقصة السريعة فى رشاقة ، جعلته يهتف :

ـ عجبًا !.. أتدَّعين أنك لا تجيدين الرقص ؟

أجابته مبتسمة :

ـ صدِّقنى .. إنها أوَّل مرَّة أرقص فيها .

هتف فى شكٍّ :

ـ ولكنك تتحرَّكين فى رشاقة تامة .

أجابته مبتسمة :

ـ إننى أترك لجسدى حرِّية الاستجابة مع النغمات الموسيقية .

هتف مشدوهًا :

ـ رائع .

انتهت الموسيقى السريعة مع هتافه ، وراحت الفرقة الموسيقية تعزف لحنًا هادئًا ، فتوقَّفت هى ، وغمغمت :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى المائدة .

تجاهل قولها ، واقترب منها ليلتقط كفَّها اليسرى فى راحته ، ويحيط خصرها بذراعه اليسرى ، ليشاركها تلك الرقصة الهادئة ، فعقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حرج :

ـ لا يا (مجدى) .. لست أحب هذه الرقصات .

أجابها فى خشونة ، وكأنما يحاول إجبارها على الإذعان :

ـــ أنا أحبها .

دفعته عنها فى رفق ، وهى تقول فى هدوء لا يخلو من الحزم :

ـــ لا يا (مجدى) .

عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدَّة :

ـــ ولِمَ لا ؟

قالت فى حزم :

ـــ لا وكفى .

ثم أضافت معاتبة :

ـــ ألا يكفيك أننى قد شاركتك هذه الرقصة ، على الرغم من أن أحدًا من زميلاتى لم تشارك زميلًا أيّة رقصة ؟

قال فى غضب :

ـــ إنهن متخلّفات .

قالت فى ضيق :

ـــ بل يَخفْنَ الإساءة إلى سمعتهن .

غمغم مُختنقًا :

ـــ هُرَاء .

أحرجها كثيرًا ، عند عودتهما إلى المائدة ، أن رأت عيون

زميلاتها تتطلّع إليها ، وابتسامات زملائها تحمل همسات صامتة خبيثة ، ولكن هذا لم يمنعها أبدًا من أن تندمج معهن فى بساطة ، وأن تشاركهن مرح الحفل ..

أما (مجدى) ، فقد بقى صامتًا ..

لم يكن من ذلك النوع الذى يمكنه كتمان مشاعره أو إخفاءها ..

وكان ساخطًا للغاية ..

ولم تحاول هى ـــ من جانبها ـــ تبادل الحديث معه ، حتى انتهى الحفل ، وعاد الجميع إلى حجراتهم ..

لحظتها ظلَّ هو جالسًا فى أحد أركان بهو الفندق ، فاتجهت إليه ، قائلة فى همس حَنُون :

ـــ أما زلت غاضبًا ؟

غمغم فى مكابرة :

ـــ وماذا يغضبنى ؟

ربَّتت على كتفه فى حنان ، وهى تقول :

ـــ أعلم أنك ساخط لأننى لم أشاركك تلك الرقصة الهادئة ، ولكننى لم أكُن أستطيع .

سألها فى حدَّة :

ـــ لماذا ؟

ترددت لحظة فى حياء ، ثم أجابته :

ـ لأن التقاليد تمنعنى من أن أرقص وأنت تضمّنى إليك .

قال فى غضب :

ـ حتى ولو أردت أنا ذلك ؟

ابتسمت فى هدوء ، وقالت :

ـ ألا يكفيك أننى قد راقصتك علانية .

قال فى حدّة :

ـ المفروض أن تستجيبى لكل مطالبى .

قالت فى هدوء حازم :

ـ إلا ما يتنافى منها مع التقاليد .

التفت إليها بغتة ، وأمسك كتفيها بقبضتيه فى قوة ، وتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول فى انفعال :

ـ (إنجى) .. أريد أن أقبّلك .

اتسعت عيناها فى ذُعر ، وتملّصت من قبضتيه ، وتراجعت قائلة :

ـ لا يا (مجدى) .. لا تحاول حتى ذلك .

هتف ساخطًا :

ـ لماذا؟.. إننى أحبّك .

أجابته معاتبة :

ـ وأنا أيضًا أحبك ، ولكن هذا لا يمنحك الحق ...

صاح فى ثورة :

ـ خطأ .. إنه يمنحنى كل الحقّ .

قالت فى حزم ، وبلهجة من لا تقبل الجدل :

ـ ليس قبل أن تصبح زوجى .

صرخ :

ـ لست أنتظر نصائحك .

صمتت وهى تتطلّع إليه فى دهشة ، ثم سألته فى حزم صارم :

ـ هل فقدت وعيك يا (مجدى) .. إنك تصرخ بصوت مرتفع ، والفندق صامت تمامًا ، و .....

قاطعها صائحًا :

ـ قلت لك إننى فى غنًى عن نصائحك .

انعقد حاجباها فى صرامة ، وهى تقول :

ـ حسنًا .. سنؤجّل ذلك لما بعد ، فلست أظنك تصلح للنقاش هذه الليلة .

وأمام دهشته العارمة ، تركته صاعدة إلى حيث حجرتها مع إحدى زميلاتها ..

ولم تدرك لحظتها أن هذه هى البداية ..

بداية النهاية ..

* * *

٤ ـ الشائعة ..

حاولت (إنجى) بصلابتها المعهودة نسيان أحداث الليلة الماضية تمامًا ، وهى تشارك زملاءها وزميلاتها تلك النزهة بين أعمدة الكرنك ، واحتفظت ـ كعهدها دَوْمًا ـ بابتسامة متألقة ، وعينين ضاحكتين ..

ولكن الأمر كان شديد الصعوبة هذه المرَّة ..

لقد تعامل معها (مجدى) بمنتهى الصرامة والحدَّة ، وتجاهلها على نحو مثير للأعصاب ..

وفى الوقت ذاته كانت نظرات زملائه تحمل الكثير من الخبث والاتهام والسُخرية ..

وكذلك نظرات زميلاتها ..

ولم تحتمل (إنجى) تلك النظرات ..

لأوَّل مرَّة فى حياتها لم تحتمل نظرات الآخرين ..

وفجأة ، استوقفت إحدى زميلاتها ، وسألتها فى حِدَّة :

ـ حسنًا .. لماذا يتحاشانى الجميع هكذا ؟

تطلَّعت إليها زميلتها لحظة ، ثم عقدت حاجبيها ، وقالت فى صرامة :

ـ بسبب ما حدث .

هتفت مُختَنِقة :

ـ وماذا حدث ؟

تأمَّلت زميلتها ملامحها لحظة ، ثم قالت فى لخبْث :

ـ أحقًّا لا تعلمين ؟

لم تحتمل (إنجى) هذا الأسلوب الملتوى السخيف ، فهتفت وقد فقدت ـ لأوَّل مرَّة ـ سيطرتها على أعصابها :

ـ أخبرينى أنت .

اعتدلت زميلتها ، وعقدت ساعديها أمام صدرها ، وأطلَّت من عينيها نظرة صارمة ، وهى تقول :

ـ لقد سمحت لـ (مجدى) بتقبيلك فى بهو الفندق .

تراجعت (إنجى) كالمصعوقة ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ أنا ؟!

أجابتها الزميلة فى تحدٍّ :

ـ نعم .. أنت .. الجميع يعلمون ذلك ، ولا داعى للإنكار .

هتفت (إنجى) فى انهيار :

ــ أنا سمحت لـ (مجدى) بتقبيلى ؟!.. ولكـــن هذا مستحيل !!.. هذا لم يحدث !.. العكس تمامًا هو الواقع .

ابتسمت زميلتها فى سُخرية ، وهى تقول :

ــ حقًا ؟!

أمسكت (إنجى) ذراع زميلتها ، وهى تهتف فى مرارة :

ــ أقسم لك إن هذا لم يحدث .. لقد حاول (مجدى) أن يقبِّلنى بالفعل ، ولكننى رفضت .

قالت الزميلة فى مزيج من الشكّ والسُّخرية :

ــ رفضت ؟!

ثم أضافت فى خُبْث :

ــ هذا لا يعنينى على أيَّة حال .. إنه شأنك .

هتفت (إنجى) :

ــ ولكنه يعنينى أنا .

هزَّت الزميلة كتفيها فى لامبالاة ، وهمَّت بالانصراف ، ولكن (إنجى) استوقفتها بصوت يحمل مرارة الدنيا كلها :

ــ أخبرينى أوَّلًا .. من يردِّد هذه الشائعة ؟

التفتت إليها الزميلة ، وأجابتها بنبرة تفُوح منها رائحة الشماتة :

ــ الجميع .

ردَّدت (إنجى) فى ارتياع :

ــ الجميع ؟!

أومأت الزميلة برأسها إيجابًا ، وقالت :

ــ نعم .. الجميع .. فتيات وفتيان .

قالتها وانصرفت ووجهها يحمل ابتسامة لا تتناسب أبدًا مع الموقف ، فى حين لم يحمل وجه (إنجى) سوى شُحُوب الموت .. صفرة الألم والانكسار ..

وفجأة ، تلاشى كل ذلك من ملامحها ..

واستعادت صلابتها ..

إنها مجرَّد شائعة حقيرة ..

شائعة لا تستحق منها مجرَّد الحزن ..

وفى صرامة اندفعت تبحث عن (مجدى) ، ولم تكد تراه حتى أسرعت إليه ، وقالت فى توتُّر :

ــ (مجدى) .. أرأيت ما فعلته بى ؟

سألها فى استهتار :

ماذا فعلت بك ؟

أجابته متوتِّرة :

ــ لقد رآك أحدهم أمس ، وأنت تحاول تقبيلى ، وأساء فهم الموقف .

هزَّ كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـــ وماذا فى ذلك ؟

هتفت فى دهشة واستنكار :

ـــ ماذا تقول يا (مجدى) ؟.. إنها سُمعتى .

أجابها فى قسوة :

ـــ وهل تهمّك سمعتك إلى هذا الحدّ ؟

حدّقت فى وجهه فى ذُهُول ..

مستحيل أن يكون هذا هو (مجدى) ..

مستحيل أن يكون هذا هو الشاب الذى أحبّته ..

الذى منحته حنانها ..

وثقتها ..

مستحيل !!

انهارت كل الثقة فى أعماقها ..

تحطّمت كل الأحلام ..

كل المشاعر الطيّبة ..

ولدقيقة كاملة راحت تحدّق فى وجهه فى ذُهُول ..

ثم تكلّمت ..

لم يكن ذلك الذى غادر شفتيها وحلقها ، هو ذلك الصوت الذى تألفه ..

لقد كان أنّات احتضار ..

احتضار حُبّ ..

وبتلك الأنات هتفت :

ـــ أنت يا (مجدى) ؟!.. أنت تقول هذا ؟!

لوّح بذراعه كلها ، هاتفًا فى غِلْظَة :

ـــ الجميع يقولون هذا .

غمغمت فى ألم :

ـــ حتى أنت ؟!

أجابها فى صرامة :

ـــ نعم .. حتى أنا .

تجمّدت فى مكانها ..

لم تقوَ على تحريك قدميها خطوة واحدة ..

خُيّل إليها أنها ستصاب بشلل تام لو فعلت ..

حتى هو ؟!..

حتى الإنسان الذى أحبّها ، والذى كان أقرب الجميع إليها ، أساء الحكم عليها ؟!

حتى هو ؟!..

تركته يبتعد عنها ، ويفرّ ..

تركته يهرب ..

وفى مُقْلَتَيْهَا تجمّدت دمعة ..

دمعة ألم ومرارة ..
ولم تدرِ حتى كيف عادت إلى الفندق !.
كيف قطعت تلك المسافة إليه على قدميها !.
كيف حبست دموعها حتى أغلقت خلفها باب حجرتها ؟!..
لم تدرِ إلا وهى ترقد على فراش الفندق ..
وعندئذ ..
عندئذ فقط ، أطلقت لدموعها العِنان ..
بكتْ بدموع من نار ..
بكت كما لم تبكِ من قبل ..
لم تبكِ من أجله ..
لم تفعل ، لأن عقلها كان يدرك أن شخصًا كهذا لا يستحق البكاء ..
لقد بكت من أجل نفسها ..
من أجل هزيمتها فى أوّل حُبّ ..
وفى وسط دموعها ، دخلت إلى الحجرة زميلتها (فاتن) ، وهتفت فى جزع :
ــ (إنجى) .. أتبكين ؟!
أسرعت (إنجى) تجفّف دموعها ، وهى تقول فى مرارة :
ــ عجبًا !!.. ألم تبلغك تلك الشائعة ؟

جلست (فاتن) إلى جوارها ، على طرف الفراش ، وربّتت على كتفها فى إشفاق ، قائلة :
ــ لقد بلغتنى كما بلغت الجميع .
هتفت فى مرارة :
ــ ألم تصدّقيها ؟
أجابتها (فاتن) فى حزم :
ــ مطلقًا .
غمغمت (إنجى) فى سُخرية مُرّة :
ــ ولماذا أنت بالذات ؟.. لقد صدّقها الجميع .
قالت فى صِدق :
ــ أنا أعرفك .. أنسيت أننا زميلتان منذ الدراسة الابتدائية ؟
ثم أردفت فى ضيق :
ثم إن (مجدى) هذا شخص حقير ، والجميع يعلمون ذلك .
هتفت (إنجى) فى مرارة :
ــ لماذا صدّقوه إذن ؟
أجابتها فى أسف :
ــ لأن الناس فى مجتمعنا يميلون عادةً إلى تصديق مثل هذه الأمور .
هتفت (إنجى) فى حدّة :

— لماذا ؟.. لماذا يميلون إلى تصديق الشُّرور ؟

ربَّتت (فاتن) على كتفها مرَّة أخرى مشفقة ، وهى تقول :

— هذا دأب كل المجتمعات الصغيرة والمغلقة .

هبَّت (إنجى) من فراشها ، وهى تقول فى حدَّة :

— لابدَّ من شرح الحقيقة لهم إذن .. سأجبر (مجدى) على أن يشرح لهم ما حدث .

عقدت (فاتن) حاجبيها ، وهى تقول فى ضيق :

— لن يشرح (مجدى) شيئًا .

هتفت (إنجى) فى حزم :

— لابدَّ أن يفعل .

صاحت بها (فاتن) :

— أقول لك مستحيل !

حدَّقت (إنجى) فى وجهها بدهشة ، فأضافت فى ضيق :

— أنت لا تعلمين من أطلق هذه الشائعة .

وصمتت لحظة ، ثم أشاحت بوجهها مستطردة فى ألم :

— إنه (مجدى) نفسه ..

* * *

٥ — أحزان قلب ..

لا يمكنكم أن تتخيَّلوا مدى دهشتى العارمة ، عندما علمت بتلك الواقعة ، بعد شهر كامل من حدوثها !..

بل لن يمكنكم أن تتصوَّروا مقدار ذُهُولى !..

لم يدهشنى أن (مجدى) قد تخلَّى عن (إنجى) ؛ فقد كنت أتوقَّع أن يحدث هذا ، إن عاجلًا أو آجلًا ؛ لأن التناقض بين شخصيتهما رهيب ، أشبه بتعايشُ الماء والنار ، أو امتزاجهما ، حيث لابدَّ أن يقضى أحدهما على الآخر ، لو تقاربا طويلًا ..

لم يدهشنى الانفصال حقًّا ..

ولم يدهشنى أُسلوب (مجدى) الحقير ..

لقد أدهشتنى (إنجى) ..

أذهلنى تمامًا — عندما علمت — أن الابتسامة لم تُفارق شفتيها ، والضحكة ظلَّت تعبث فى عينيها ، وكأن شيئًا لم يحدث ..

تأكَّدت يومها من أنها قوية فعلًا ..

إنها قادرة على إخفاء مشاعرها دَوْمًا ، وهذه صفة نادرة ، لا تتأتى للكثيرين ..

صفة تشفُّ عن القوة ..

لقد لاحظت بالطبع ، عند عودة الرحلة من (الأقصر) و (أسوان) ، أن تباعـدًا واضحًـا قد نشأ بينها وبين (مجدى) ، ولكننى عَزَوْت ذلك ــ حينذاك ــ إلى خلاف عادى بين الأحبَّاء ، لن يلبث أن يزول ..

ولكن (مجدى) ارتبط بعد أيام بواحدة من زميلات (إنجى) ..

واختار صديقتها (سلمى) بالذات ، وكأنه يطعنها مختالًا فخورًا بأنه يستطيع أن يُوقع فى حبائله أصدق صديقاتها ..

وكان من الطبيعى أن يؤلم ذلك (إنجى) كثيرًا ، ولكنها احتفظت ــ على الرغم من ذلك ــ بابتسامتها ومرحها ، لتهزم أسلوبه السخيف المتحايل ..

وتجاهلته بدورها تمامًا ..

والعجيب أنها ظلَّت تعامل (سلمى) بنفس الهدوء والبساطة ، حتى أن (سلمى) نفسها لم تحتمل هذا ، فهتفت بها يومًا :

ــ ماذا تستهدفينَ بالضبط يا (إنجى) ؟

رفعت (إنجى) حاجبيها فى دهشة ، وهى تسألها :

ــ ماذا تعنين أنت بهذا السؤال ؟

هتفت بها (سلمى) مُحْتَقَة :

ــ لا تحاولى التحايل على إجابة سؤالى .. أنا أعلم جيِّدًا أنك تكرهيننى ؛ لأننى سلبتك الشاب الذى أحبَّه قلبك ، فلماذا تصرِّين على استمرار العلاقة بيننا .

سألتها (إنجى) فى هدوء :

ــ ولِمَ لا ؟

صاحت (سلمى) :

ــ لأن هذا مستحيل .. مستحيل أن تشعر فتاة بالودِّ نحو أخرى سلبتها فتاها .

أجابتها (إنجى) فى برود :

ــ هذا صحيح .

هتفت (سلمى) :

ــ أرأيت أننى على حقّ ؟

قالت (إنجى) بنفس البرود ، الذى يحمل رنَّة كبرياء :

ــ هذا لو أنك سلبتنى فتاى كما تقولين .

ابتسمت (سلمى) فى عصبيَّة ، وهى تقول :

ــ أتدعين أن هذا لم يحدث .

أجابتها (إنجى) ، وقد تضاعفت نبرة الكبرياء فى صوتها ، فالتهمت برودة حروفه ، وأحالتها إلى حُمَم ملتهبة :

ـــ لست أحتاج حتى إلى الادعاء .. الجميع هنا يعلمون أننى أنا تركت (مجدى) ، ولن يسيئنى بعدها أن تتجه إليه أخرى .

ثم مالت نحوها ، مستطردة فى أسلوب واضح الاستفزازية :

ـــ تمامًا مثل حذاء قديم ، بدأ يؤلم أصابعى ، فألقيته غير باكية ولا مبالية بأى قدم ترتديه من بعدى .

احتقن وجه (سلمى) فى قوة ، وخُيِّل للجميع أنها ستنفجر فى وجه (إنجى) ، إلا أنها لم تلبث أن انخرطت فجأة فى بكاء حارّ ، وهى تهتف فى مرارة :

ـــ أنت .. أنت .....

قاطعتها (إنجى) فى برود :

ـــ أنت أردت ذلك .

ثم رفعت رأسها فى كبرياء ، وغادرت المكان فى خطوات هادئة واثقة ..

وتكشّفت لى نقطة أخرى فى صورة (إنجى) ، وبدا لى جانب آخر من جوانب شخصيتها ..

الكبرياء ..

وهناك فرق كبير جدًا ، بين التَكبُّر والكبرياء ..

إن (إنجى) لم تكن أبدًا متكبِّرة ..

ولكنها ذات كبرياء ..

والعجيب أن هذا الكبرياء نفسه جعل (مجدى) يشعر بعد فترة قصيرة بالندم على ما فعل ..

أو بالخجل مما فعل ..

لقد أدرك فجأة أنه لم يربح المعركة ..

لقد خسرها ..

خسرها بفداحة ..

انهزم فى كل الجولات ..

نال كل الضربات ..

لقد أساء إلى (إنجى) دون مبرِّر ..

أساء إليها ، لمجرَّد أنها رفضت أن تمنحه ما ليس من حقّه ..

أن تهبه مالا يحقُّ له أن يملكه ..

ثم إنه قد استبدل بها أخرى ، لا تملك نصف جمالها ..

أو حتى نصف شخصيتها ..

صحيح أنه مع (إنجى) كان يشعر بالضعف ..

ولكنه مع (سلمى) يشعر بالخَواء ..

ولم يحتمل (مجدى) هذا الشعور ..

لقد هرع يومًا إلى (إنجى) ، والامتحانات على الأبواب ، يهتف بها :

ــ (إنجى) .. أريد أن أتحدث معك قليلاً ..

قالها متردّدًا ، خشية أن تستقبل كلماته فى ازدراء أو سُخرية ، حتى أنه قد ارتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، عندما استقبلته بابتسامة هادئة ، وهى تقول فى بساطة :

ــ كما تشاء يا (مجدى) .

أذهله ذلك فى البداية ، ثم لم يلبث عقله التافه أن تصوَّر أن أسلوبها الهادئ هذا يعود إلى رغبتها فى العودة إليه ، فاستعاد بعض ثقته ، وهو يقول :

ــ هل نجلس فى (الكافيتيريا) بعض الوقت ؟

أجابته فى بساطة ، وابتسامتها الهادئة تتألق على شفتيها :

ــ لا بأس .

استعاد مزيدًا من ثقته بنفسه ، وهو يسير إلى جوارها فى فناء الكلية ، متجهين نحو قاعة (الكافيتيريا) ، ولم يكد يتخذ مجلسه معها ، حول مائدة خالية ، حتى كانت ثقته قد بلغت حدًا لا بأس به ، وكان يبدو هادئًا بِدَوْرِه ، وهو يقول :

ــ (إنجى) .. لقد أخطأنا بانفصالنا عن بعضنا البعض .

غمغمت فى اهتمام :

ــ حقًا ؟!

أجابها فى جدّية :

ــ نعم .. كان من الخطإ أن تنفصل .

قالت فى اهتمام متزايد :

ــ لماذا ؟

تطلّع إليها فى دهشة ، وهو يقول :

ــ لماذا ماذا ؟

سألته فى فُضول حقيقى :

ــ لماذا أخطأنا فى انفصالنا ؟

ذهب الكثير من ثقته بغتة ، وارتبك وهو يغمغم :

ــ لقد أخطأنا بالطبع .

عادت تسأله فى فُضول يمتزج بالإلحاح :

ــ لماذا ؟

حَارَ فى البحث عن جواب ، فقال فى عصبيَّة ، وهو يخشى أن يُفقده أسلوبها البقية الباقية من ثقته بنفسه :

ــ لقد انفصلنا فحسب .

انهارت البقية الباقية من شظايا الثقة ، عندما تراجعت فى مقعدها فى هدوء ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، قائلة :

— كنت أتوقَّع ذلك .

سألها فى عصبيَّة وانفعال :

— كنت تتوقَّعين ماذا ؟

أجابته فى لهجة هادئة ، تفوح منها رائحة سُخرية :

— كنت أتوقَّع أنك لا تعلم السبب .. كانت مجرَّد نزوة ساديَّة ، أردت أن تُشبع بها غريزة القَنص فى أعماقك .

هتف مُختنقًا :

— ماذا تقولين ؟

أجابته فى صرامة :

— الحقيقة .

أدهشته صرامتها الشديدة ، فتراجع مبهُوتا ، فى حين استطردت هى :

— أكنت تتصوَّر أنه من السهل أن أنسى كل ما فعلت بى دفعة واحدة هكذا ؟.. أمِنَ السهل أن ينتزع الإنسان خِنجرًا من قلبه ، ويلقى به جانبًا ، ثم يمضى فى حياته كما كان ؟.. لا يا (مجدى) .. إنك لا تعرف إذن أحزان القلب .. لم تختبرها فى حياتك كلها .. الأحزان أيها الشاب خناجر تطعن القلب بكل قسوة ، وتسلبه الكثير من الدماء بلا رحمة أو شفقة ، وجراح القلب لا تندمل أبدًا .

غمغم فى شُحُوب :

— أتعنِينَ أنك ......؟

قاطعته فى حزم :

— لن أعود إليك أبدًا .. نعم .. هذا صحيح .. الأحمق فقط هو من يُلدغ من الجحر مرَّتين .

ونهضت قبل أن يضيف حرفًا ، مستطردة :

— الوداع يا (مجدى) .. الوداع .. بلغ تحياتى إلى (سلمى) ..

وعندما انصرفت مرفوعة الرأس فى كبرياء ، تاركة إيَّاه خلفها شاحبًا ممتقعًا ، كانت تشعر فى أعماق قلبها بشعور جديد ..

شعور هو مزيج من الارتياح والظُّفر ..

ولحظتها فقط بدأت الجراح تندمل ..

وخفتت أحزان القلب ..

* * *



٦ ـ سنوات ..

خرجت (إنجى) من تلك المحنة أكثر قوة ، وأكثر ثقة بالنفس ، وعادت تلك الضحكة فى عينيها تشع جاذبية رائعة ، واستعادت كل حيويتها ونشاطها ، واتسعت دائرة صداقاتها كثيرًا ، مع انتهاء سنتها الإعدادية بالكلية ، واندماجها مع أفراد دفعتها الصغيرة فى كلية الصيدلة ..

ونسى الجميع ، أو تناسوا قصتها مع (مجدى) ، الذى لم يجد أمامه ـ بعد أن أيقن من استحالة عودتها إليه ـ سوى استمرار علاقته بـ (سلمى) ، التى لم تجد بدوْرِها ردًّا على عبارة (إنجى) ، سوى أن تواصل علاقتها به ..

وعادت (إنجى) تشعُّ جاذبيتها على كل من حولها ، وتوطَّدت صلتها أكثر بزميلتها (فاتن) ، على الرغم من اختلاف كليتهما ، وأصبحت الأولى تقضى كل وقت فراغها فى كلية الطب ، مع الثانية ..

وذات يوم ، سألتها (فاتن) :

ـ أسَعِيدة أنت حقًّا يا (إنجى) ؟

التفتت إليها (إنجى) بتلك العينين الضاحكتين ، وهى تقول :

ـ ولِمَ لا ؟.. لا يوجد ما يكدِّر صَفْو حياتى .

سألتها فى حَيْرَة واهتمام .

ـ عجبًا !.. لماذا يُخيَّل إلىَّ دَوْمًا أن مرحك الشديد هذا إنما يُخْفِى حزنًا دفينًا ؟

حدَّقت (إنجى) فى وجهها لحظات فى دهشة ، وأشاحت بوجهها مغمغمة :

ـ من منحك هذه الفكرة ؟

هزَّت (فاتن) كتفيها ، وهى تقول فى هدوء :

ـ لا أحد .. إنه شعورى .

لبثت (إنجى) صامتة لحظات ، ثم أطرقت بوجهها أرضًا ، وغمغمت :

ـ شفَّافة أنت يا (فاتن) .

ثم رفعت إليها عينين حزينتين ، مستطردة :

ـ أتعرفين ؟. لقد قرأت يومًا عبارة لواحد من أكثر أدباء (مصر) شهرة ، قال فيها ، عن لسان أحد شخصيات روايته : « أنا هو أنا .. دائمًا حزين . كل ما فى الأمر أن تلك

الحجب الزائفة من المرح ، التى أكسو بها نفسى ، قد عجزت اليوم عن سترها ، فبانت على حقيقتها » .. عندما قرأت تلك العبارة ، خُيِّل إلىَّ أن الكاتب قد استعار عقلى لكتابتها ، وأنه قد وصف مشاعرى بكل الدِّقة .

هتفت (فاتن) فى دهشة :

— مشاعرك أنت يا (إنجى) ؟!.. (إنجى) الشديدة المرح ، التى لا تفارق الابتسامة شفتيها أبدًا ، دائمًا حزينة ؟! أهذا معقول ؟

ابتسمت (إنجى) فى حزن ، وغمغمت :

— بل هو المعقول نفسه .

اعتدلت (فاتن) ، وهى تهتف فى دهشة :

— ولكن كيف ؟.. ولماذا ؟

أطلقت (إنجى) زفرة، وبدت وكأنها تنطلق كالحمم الملتهبة، من بركان ثائر فى أعمق أعماق صدرها، قبل أن تجيب .

— أتعلمين يا (فاتن) .. على الرغم من كل هؤلاء الأصدقاء ، الذين أحيط بهم نفسى ، إلا أن شعور الوحدة لا يفارقنى أبدًا .

غمغمت (فاتن) مشدُوهة :

— الوحدة ؟!

أومأت (إنجى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

— نعم يا (فاتن) .. الوحدة .. قد يدهشك هذا ، ولكنها الحقيقة ، فالوحدة ليست أن يُعانِىَ الإنسان فراغ الأشخاص من حوله ، ولكن أن يُعانِىَ فراغ العقول .. صحيح أننى محاطة بعشرات الأصدقاء ، ولكن ما من أحد منهم يفهمنى ، وما من أحد منهم يُدرك حقيقة شخصيتى .. معظمهم — إن لم يكن كلهم — ينظرون إلىَّ كشخصية متحرِّرة أكثر من اللازم .

تمتمت (فاتن) :

— ربما كنت كذلك بالفعل .

تطلَّعت إليها فى اهتمام ، وسألتها :

— أهو رأيك أيضًا ؟

تردَّدت (فاتن) فى حرج ، ثم بدا وكأنها قد حسمت رأيها فجأة ، عندما قالت فى حزم :

— إننا فى مجتمع شرقى يا (إنجى) ، وفى مدينة صغيرة ، ذات طابع شبه ريفى ، وعلى المرء أن يحترم عادات وتقاليد مجتمعه الصغير دوْمًا ، وأنت تتجاهلين كل هذه العادات والتقاليد ، على نحو يبدو أشبه بالتحدِّى السافر ، فأنت تتحدثين مع أى شاب بكل بساطة ، وتضحكين للنكات فى

صوت مرتفع ، ولا تمانعين فى أن يدعوك أحدهم لتوصيلك إلى منزلك فى سيارته .

أضافت (إنجى) فى حزم :

ـــ ويمكننى أن أدعوه لتناول شراب فى منزلى أيضًا .

قالت (فاتن) :

ـــ هذا يخالف التقاليد .

هتفت (إنجى) فى حدّة :

ـــ أيّة تقاليد ؟.. إنكم تمزجون بلا وعى ، بين تقاليد الماضى وتقاليد الحاضر !!.. أيّة تقاليد تلك التى تسمح لى بالذهاب إلى الجامعة ، والاختلاط بزملاء وزميلات ، ثم تمنعنى من أتبادل الأحاديث العادية مع هؤلاء الزملاء ، أو من الضحك ، أو السماح لأحدهم بإيصالى إلى منزلى ؟!.. إننى لم أرتكب أيّة أخطاء أخلاقية أو اجتماعية .. إننى أرتدى دَوْمًا ثيابًا محتشمة ، ولا أتفوّه بكلمة واحدة خارجة عن قواعد الأدب واللياقة ، فأيّة تقاليد تمنع ذلك .

قالت (فاتن) فى عناد :

ـــ هكذا المجتمع .

صرخت (إنجى) :

ـــ فليذهب هذا المجتمع إلى الجحيم ، مادام لا يتبع قواعد المنطق .

عقدت (فاتن) حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ـــ سيبقى المجتمع يا (إنجى) ، ولن يذهب إلى الجحيم لمجرّد أنك ترفضين اتباع قواعده .. سيبقى وسيرسلك أنت إلى الجحيم .. افعلى ما شئت .. خالفى قواعد المجتمع ما شاء لك عقلك أن تفعلى ، ولكن ثقى بأن المجتمع لن يرحمك .. ولن يغفر لك أبدًا .

قالت فى حدّة :

ـــ لقد نسى المجتمع شائعة (مجدى) .

هزّت (فاتن) رأسها نفيًا ، وقالت :

بل تناساها ، وهناك فارق رهيب بين الحالتين ، فالنسيان يَعْنِى أن الأمر قد غاب عن الذاكرة ، أما التناسى فيعنى أن الأمر مودع فى خزانة خاصة فى الذاكرة ، على أُهبة الاستعداد للعودة ، وقتما يوجد محفّز له .

عقدت (إنجى) حاجبيها أمام صدرها فى حزم ، وهى تقول :

ـــ إننى لا أرتكب أيّة أخطاء .

قالت (فاتن) :

ـــ هكذا ؟.. كيف تبرّرين تخلّى (ماهر) عنك أيضًا ؟

ارتبكت (إنجى) ، وهى تقول :

ـــ (ماهر) .. هل أخبرك ؟
هزّت (فاتن) رأسها سلبًا ، وقالت :
ـــ لا .. إنه لم يخبر أحدًا ، ولكن هذه الأمور لا تحتاج إلى من يُبلغها .. إنها دوْمًا شديدةَ الوضوح .. لقد كنا نشعر جميعًا بأن (ماهر) غارق فى حُبّك ، وأنه ينتظر اللحظة المناسبة ليصارحك بذلك ، فكما يقول الشاعر : « الصَّبُّ تفضحه عيونه .. » ، وحتى عندما همس لك (ماهر) ليطالبك بالجلوس معه وحدكما ، كنّا نعلم أنه قد قرَّر مصارحتك بحبّه ، بعد أن أيقن من نسيانك لـ (مجدى) تمامًا ، ولقد أسعدنى موافقتك على الجلوس معه ، فـ (ماهر) شاب ممتاز ، وسيصبح طبيب أسنان رائعًا ، ووالده واحد من أكثر أطباء المدينة شهرة ، وهو ثرى ، ومهذَّب ..
غمغمت (إنجى) فى ضيق :
ـــ ولكنه ضيِّق الأفق أيضًا ؛ لقد طلب منّى ألا أصاحب فتيانًا آخرين ، أو أسمح لأحدهم بإيصالى فى سيارته .
رفعت (فاتن) حاجبيها ، وهى تقول :
ـــ لقد طلب ما رأى أنه حقّه فحسب .
هتفت (إنجى) :
ـــ ولكننى لا أحتمل هذا .. لا أحتمل أى قيد على حرّيتى .

قالت (فاتن) فى حزم :
لا توجد حرّية مطلقة يا (إنجى) .. كل حرّية تحكمها قواعد وقوانين .. الحرّية المطلقة هى الفوضى .. كل الفوضى .
غمغمت فى مرارة :
ـــ ولكننى أكره القيود والأسوار .
قالت (فاتن) فى هدوء :
ـــ حاولى أن تتقبليهما ، كجزء من متاعب الحياة .
زفرت (إنجى) هاتفة :
ـــ لن أحتمل .
قالت (فاتن) فى صرامة :
ـــ حاولى .
ثم أردفت فى حزم :
ـــ أرأيت ماذا حدث ، عندما رفضت ذلك ؟.. لقد وجد (ماهر) أن حياتكما معًا ستكون مستحيلة هكذا ، فابتعد عنك ، وعن مجموعتنا كلها .. ولا تتصوّرى أنه شخص ضيق الأفق كما تظنّين ، فكل رجل يرتبط بامرأة يطلب منها ذلك .. كل رجل شرقى يفعل ؛ لأن الدماء الشرقية فى أعماقه تجعله يصرُّ على أن تكون أنثاه له وحده .

تمتمت (إنجى) :
ــ أتظنّين ذلك ؟
هتفت (فاتن) :
ــ بل أُوقِن منه .
زفرت (إنجى) فى حِدّة ، وقالت :
ــ يا له من مجتمع !
ابتسمت (فاتن) فى إشفاق ، وغمغمت :
ــ سرعان ما تعتادينه .
ثم استدركت فى حزم :
ــ لو حاولت .
لوّحت (إنجى) بكفّها فى يأس ، وهى تتنهّد فى عمق ، وَرَان عليهما الصمت لحظات ، ثم قالت (فاتن) فى حنان متعاطف :
ــ أتعلمين ما الذى ينقصك يا (إنجى) ؟
تطلّعت إليها (إنجى) فى تساؤل ، فأضافت :
ــ الحبّ .
هتفت (إنجى) فى دهشة ، تحمل نبْرة استنكار متخاذلة :
ــ الحبّ ؟!
أومأت (فاتن) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ــ نعم يا (إنجى) ، ما ينقصك هو الحب .. لو أنك أحببت شخصًا ما ، من أعماق قلبك ، فلن يؤذيك أن يطالبك بالحدّ من جموحك ، بل سيسعدك هذا .. سيسعدك أنه يهتم بأمورك ، ويغار عليك .
شَرَدَت (إنجى) ببصرها لحظات ، وغمغمت :
ــ ربّما .
وصمتت لحظة فى تردُّد ، ثم غمغمت :
ــ هناك شخص ..
بترت عبارتها بغتة ، فهتفت (فاتن) تستحثها على المضىّ فى حديثها :
ــ شخص ماذا ؟
تردُّدت (إنجى) بضع لحظات أخرى ، ثم قالت :
ــ إنه طالب بالسنة النهائية بكليتى .. وهو يميل إلىّ ، و .....
قاطعتها فى لهفة :
ــ وماذا عنك ؟
تخضّب وجهها بحُمرة خجل ، وهى تغمغم :
ــ أظننى أميل إليه أيضًا .
هتفت (فاتن) فى فرح :
ــ رائع .. لماذا لم تخبرينى ذلك من قبل ؟

تضاعفت حُمرة الخجل فى وجْنتيْها ، وهى تتمتم :

ــ انتظرت حتى أصبح واثقة .

سألتها (فاتن) فى لهفة :

ــ هل فاتحك فى الأمر ؟

هزَّت رأسها نفيًا ، وغمغمت :

ــ ليس بعد .

وأضافت فى سرعة :

ــ ولكنه سيفعل .

وعادت دماء الخجل تغمر وجْنتيها ، وهى تضيف :

ــ أعلم أنه سيفعل .

أطلقت (فاتن) ضحكة مرحة ، وهى تهتف :

ــ يا له من خبر !.. إنه أسعد خبر سمعته منك .

ثم سألتها فى فُضُول شديد :

ــ من هو هذا الشخص ؟

ابتسمت (إنجى) فى حياء ، وهى تقول :

ــ (منير) .. (منير القصاب) .

هتفت (فاتن) :

ــ (منير) ؟!.. أتقصدين ذلك الصامت الوسيم ؟.

أومأت (إنجى) برأسها إيجابًا ، فهتفت (فاتن) :

ــ وهل يعجبك حقًّا ؟

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ــ إنه رصين وقور ، و .....

قاطعتها (فاتن) :

ــ على عكسك تمامًا .

ابتسمت فى حياء ، مغمغمة :

ــ ألا توجد نظرية علمية عن تجاذب الأضداد ؟

ضحكت (فاتن) ، قائلة :

ــ هذا صحيح .

ثم أضافت فى سعادة :

ــ مبارك يا (إنجى) .. إنه شاب ممتاز .

غمغمت (إنجى) فى خجل :

ــ لم يَحِن وقت التهنئة بعد .

أجابتها (فاتن) فى حماس :

ــ سيحين عن قريب بإذن الله .

اكتفت (إنجى) بابتسامة هذه المرَّة ، وسرح عقلها بعيدًا ..

هل يناسبها (منير) حقًّا ؟..

إنه ــ كما قالت (فاتن) ــ يتناقض معها فى كل شىء ..

ولكن رصانته تروق لها ..

وصمته وغموضه يجذبانها ..

تُرى .. هل تجد فيه ما افتقدته ؟..

تُرى .. هل يجد قلبها مرساه فى مرفإ قلبه ؟!..

من يدرى ؟..

ربّما ..

* * *



٧ ــ الحب ..

حانت اللحظة ..

كانت تغادر إحدى حجرات الدراسة العملية ، عندما وجدته أمامها ..

(منير) بشحمه ولحمه ، يتطلّع إلى وجهها بكل صمته وهدوئه ..

وارتبكت ..

ارتبكت كثيرًا ، وهى تتطلّع إلى عينيه ..

وظلّ هو هادئًا صامتًا ..

وبلا وعى ، وجدت نفسها تحدّق فى عينيه ..

تحدّق فى بحر غامض عميق ..

وفجأة ، ارتجف جسدها كله ..

ارتجف عندما قال فى هدوء :

ــ آنسة (إنجى) ..

صمتت لحظات ..

عجز لسانها حقًا عن الكلام ..
كانت مبهورة ..
مأخوذة ..
مشدوهة ..
أهو الحُبّ ؟
أتلك العاطفة هى التى جعلتها تتسمّر هكذا ؟..
قبل أن يجيب عقلها السؤال ، أضاف هو :
ــ اسمى (منير) .. (منير القصّاب) .
هتفت دون تفكير :
ــ أعلم ذلك .
تطلّع إلى عينيها فى دهشة ، فتصاعدت حُمرة الخجل إلى وجْنتيْها ، وغمغمت :
ــ أعنى أننى عرفت الآن .
ابتسم فى هدوء ، وقال :
ــ طالب فى السنة النهائية .
ثم مال نحوها ، واستطرد فى لهجة مهذّبة :
ــ أتسمحين لى بالتحدّث إليك قليلًا .
غمغمت فى اضطراب :
ــ وحدنا ؟!

أدهشها أن ألقت هذا السؤال ..
أدهشها جدًا أنها قد فعلت ..
وضاعف هذا من كميّة دماء الخجل ، المتصاعدة إلى وجْنتيْها ، فابتسم هو فى ارتباك ، وغمغم :
ــ هل تسمحين ؟
تمتمت :
ــ نعم .. لا بأس .
اصطحبها فى هدوء إلى أحد الأركان ، وسألها على نحو مباشر :
ــ أخبرينى يا آنسة (إنجى) .. أأنت مرتبطة ؟.
ارتبكت ، وهى تسأله :
ــ ماذا تعنى ؟
ازدرد لُعابه ، وقال :
ــ السؤال واضح المعنى .
أجابته هذه المرّة فى وضوح وصراحة :
ــ لا .. لست مرتبطة بأحد فى الوقت الحالى .
قال فى اهتمام :
ــ لست أعنى الارتباطات الرسمية وحدها فى الواقع ، بل .....

قاطعته فى سرعة :
ـــ أفهم ذلك .
تطلّع إلى وجهها لحظة فى صمت ، ثم قال :
ـــ حسنًا .. الواقع يا آنسة (إنجى) أننى .. أننى .....
صمت لحظة أخرى ليزدرد لُعَابَهُ ، ويستجمع شجاعته ، ثم قال :
ـــ إننى معجب بك من زمن ، و .....
لم يتم عبارته ، ولم تطالبه هى بإتمامها ..
لقد فهمت ..
ولقد شرح هو كل شىء ، دون كلمات ..
وبكل سعادة ، ابتسمت مغمغمة :
ـــ هذا يسعدنى .
هتف فرحًا :
ـــ حقًا ؟
أومأت برأسها إيجابًا فى حياء ، فتألّقت عيناه فرحًا ، إلا أن وجهه لم يلبث أن استعاد رصانته ، وهو يقول :
ـــ ولكن لدىّ عدة مآخذ على أسلوبك .
ضايقها هذا ، فغمغمت :
ـــ لماذا ؟

اعتدل قائلًا :
ـــ الواقع أننى أُومن تمامًا بأنك فتاة رائعة ، متحضِّرة ، وأنك من أكثر فتيات المدينة تهذيبًا واحترامًا ، ولكن رأيى وحده لا يكفى .
غمغمت :
ـــ لماذا ؟
أجابها بنفس الرَّزانة والهدوء :
ـــ لأننا نعيش فى مجتمع .
قالت محاورة :
ـــ لا ينبغى أن يمنعنا المجتمع من فعل ما نؤمن بصحته ، لمجرَّد أنه يخالف تقاليد بالية .
أجابها فى هدوء :
ـــ ولكن من المحتَّم أن تبدو صورتنا جيِّدة أمام المجتمع .
قالت فى حزم :
ـــ هذا لا يهمُّنى .
أجابها فى حزم مماثل :
ـــ ولكنه يهمُّنى أنا .
حدّقت فى وجهه فى دهشة ، فأضاف :
ـــ إننا جزء من هذا المجتمع ، وليس من الطبيعى أن

نتجاهل قواعده وقوانينه ، حتى ولو بدت لنا مخالفة للمنطق وقواعد العقل ؛ لأننا ــ وبكل بساطة ــ سنعيش فى هذا المجتمع ، ونعمل فيه ، ونتعايش معه ، والمشكلة فى كل الأماكن والعصور ، هى أن تعامل المجتمع معك واحترامه لك يرتبطان بنظرته إليك ، لا بنظرتك إلى نفسك .

قالت فى خُفوت :

ــ حتى ولو كنت أنا على حقّ ؟.

أجابها فى حزم :

ــ حتى ولو كنت كذلك .

وانتظر لحظة ، ثم استطرد :

ــ ماذا عندما نفتتح صيدلية معًا مثلًا ؟.. ألن يؤثر رأى المجتمع فينا فى عملنا ؟.. وماذا عن أطفالنا فيما بعد ، ونظرة المجتمع إليهم ؟.

صدّقينى يا (إنجى) .. إنه أمر شديد الأهمية أن نُرضى المجتمع .

صمتت لحظات فى ضيق ، ثم سألته فى خُفوت :

ــ وماذا تطلب منّى ؟

أدهشتها مطالبه تمامًا ..

لقد كانت نفس مطالب (ماهر) بالضبط ..

لا ضحك بصوت مرتفع ، لا اختلاط زائدًا ، لا مصاحبة للفتيان فى سياراتهم ..

وأدهشها أكثر أن هذه المطالب لم تضايقها منه ..

لقد استقبلتها فى بساطة ..

بل فى طاعة مدهشة ..

ووجدت عقلها يتساءل فى حَيْرَة :

ــ أهذا هو الحب إذن ؟..

أجابها قلبها بخفقة طرب ، جعلت جسدها كله ينتفض فى نشوة ..

وفى عينيها تراقصت ضحكة سعيدة ..

وعلى شفتيها ارتسمت ابتسامة فرحة ..

وفى استسلام تام ، أجابته :

ــ حسنًا .. كما تشاء .

أسعدته عبارتها ، ولهجتها المستسلمة ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وغمغم :

ــ كم أنت رائعة .

لم تطرب فى عمرها كله لعبارة ، مثلما طربت لعبارته ..

لقد رقص قلبها بين ضلوعها فى سعادة غامرة ، وراحت نبضاته تعزف لحن حب رائع ..

نعم ..

إنها تحبه ..

إنها تحبّ ..

لأوّل مرّة فى عمرها تحبّ ..

وفى طريق عودتها إلى منزلها كانت تسير فى سرعة أشبه بالعَدْوِ ..

وَكانت شفتاها تحملان ابتسامة رائعة ..

ولم تغب تلك الفرحة عن شقيقتها الصغرى ، التى سألتها فى خُبث :

ـــ أهو حُبٌّ جديد ؟

أطلقت (إنجى) ضحكة مرحة ، وهتفت :

ـــ وهل كان هناك حُبٌّ قديم ؟

قفزت شقيقتها إلى جوارها فوق الفراش ، وهتفت :

ـــ أراهن أن لديك قصة رائعة .. هيّا .. أخبرينى بالأمر كله .

ضحكت (إنجى) قائلة :

ـــ أى أمر ؟

أجابتها شقيقتها (مروة) فى حماس :

ـــ لا تحاولى خداعى .. هذا الوجه المشرق ، وتلك الابتسامة الصافية يحملان قصة .. هيّا .. أخبرينى .

ثم مالت نحوها ، مستطردة فى اهتمام وفُضُول :

ـــ من هو ؟

ابتسمت (إنجى) فى خجل ، وغمغمت :

ـــ (منير) .. (منير القصّاب) .

هتفت (مروة) :

ـــ (منير) ؟!.. أهو ذلك الطويل الصامت ؟

أومأت (إنجى) برأسها إيجابًا ، وهى تقول فى هيام :

ـــ إنه هو .

ردُدت (مروة) خلفها ، مقلّدة أسلوبها :

ـــ إنه هو ..

ثم أطلقت ضحكة صافية ، مستطردة :

ـــ إنك تنطقينها بلهجة لا تقبلُ الشَّكّ .

غمغمت (إنجى) فى خَجَل :

ـــ كَفَى .

ابتسمت (مروة) ، وقفزت من فوق الفراش ، قائلة فى مرح :

ـــ ومن لديه الوقت لمواصلة الحديث ؟.. إننى على موعد مع مصفّف الشعر ، لمنح شعرى الجميل لونًا آخر .

سألتها (إنجى) ضاحكة :

ـــ أى لون ستمنحينه هذه المرّة ؟

ابتسمت قائلة :

ــ الأشقر .. هل يرُوق لك ؟

أجابتها فى حنان :

ــ أظنّه سيناسب بشرتك .

قالت (مروة) فى سعادة :

ــ و (هانى) يحبّه أيضًا .

عقدت (إنجى) حاجبيها ، وهى تقول :

ــ أما زلت مرتبطة به ؟

اتسعت ابتسامة (مروة) ، وهى تميل نحوها ، قائلة فى سعادة :

ــ وهل للحبِّ نهاية ؟

ثم أسرعت تغادر الحجرة فى مرح ، وتركت (إنجى) هائمة مع عبارتها ..

نعم ..

هل للحبِّ نهاية ؟..

إنه وحده نهاية ..

نهاية لعذابات القلب وجراحه ..

يا إلٰهى !!.. كم تحبّ (منير) !!..

كم تعشق هدوءه ورصانته ..

إنها تحبّ ..

تحبّ ..

تحبّ ..

حتى الكلمة لها رنين عذب فى نفسها ..

كلمة الحبّ ..

راحت تردِّد الكلمة فى أعماقها فى همس ، وسبحت أحلامها مع عقلها بعيدًا ، بعيدًا ..

ولأوَّل مرَّة منذ شهور نامت (إنجى) وهى تبتسم ..

ولأوَّل مرَّة فى عمرها عرف قلبها معنى الحب ..

معناه الحقيقى ..

* * *



٨ ــ سجن من ذهب ..

لم تحاول (إنجى) بالطبع إخفاء علاقتها بـ (منير) ، أو حُبها له ..

كانت تحتفظ دَوْمًا بصراحتها ووضوحها الفريدين ..

ولقد كانت أسعد أوقاتها هى تلك التى تقضيها مع (منير) ..

ولم يغيِّر هو من طبيعته الرصينة الهادئة أبدًا ..

وبذلت هى أقصى جهدها للسيطرة على طبيعتها الجامحة ..

وذات يوم التقيا ، واستقبلته بابتسامة تحمل كل لهفتها ، واستقبلها بابتسامته الهادئة ، وابتدرته هى قائلة :

ــ ما رأيك فى رحلة إلى (الإسكندرية) ؟

أجابها بسؤال رصين :

ــ الآن ؟

هتفت فى حماس :

ــ نعم .. الآن .. إننى أعشق (الإسكندرية) فى هذه الأيام ، مع نهايات الشتاء ، وبدايات الربيع .

سألها فى هدوء :

ــ وماذا عن الامتحانات ؟

ضحكت فى مرح ، وهى تقول :

ــ إنها رحلة رسمية ، ولمدة يوم واحد ، لقد أعدَّتها لجنة الرحلات بالكلية .

صمت لحظات ، وكأنه يَزِن الأمر برصانته المعهودة ، فهتفت به :

ــ هيَّا .. إننا نحتاج إلى شىء من التغيير .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ لا بأس .. متى تقوم تلك الرحلة ؟

أجابته فى مرح :

ــ غدًا صباحًا .

هتف مستنكرًا :

ــ غدًا ؟!

أجابته فى بساطة :

ــ نعم .. لا يوجد أجمل من الرحلات المفاجئة .

مطَّ شفتيه فى ضيق ، وهو يقول :

ــ لست أميل إلى المفاجآت .

تنهَّدت ، وقالت بلا مرح :

ـ حسنًا .. يمكنك أن ترفض .
تطلَّع إليها لحظات فى صمت ، ثم ابتسم قائلًا :
ـ لا .. سنذهب معًا .
صفقت بكفَّيها فى جَذل ، وهى تهتف :
ـ رائع .. سنذهب معًا .
ثم مالت نحوه ، وشفتاها تحملان أكثر ابتساماتها جاذبية ، وأردفت :
ـ ستكون رحلة رائعة .
ولكنها كانت مخطئة ..
لقد شاركها (منير) الرحلة ، دون أن يتخلَّى عن طبيعته الصامتة ..
كان الصامت الوحيد فى الرحلة ..
الوحيد الذى لم يشارك فى اللهو والمرح ..
وحاولت (إنجى) أن تبقى إلى جواره صامتة ، ولكنها لم تحتمل ..
وبسرعة فرَّ العصفور الرقيق من قفصه ..
وانطلقت (إنجى) تصفق وتغنِّى ، وتشارك الجميع مرحهم ولهوهم داخل حافلة الرحلة ..
وانعقد حاجبا (منير) فى غضب ..

ولم يحاول منعها أو معاتبتها ..
وعندما وصلت الحافلة إلى قصر (المنتزه) بـ(الإسكندرية) ، تجاهلها تمامًا ، وذهب يجلس وحده بعيدًا ..
ودون أن تنتبه إلى غضبه ، أسرعت إليه تسأله :
ـ (منير) .. هل تشاركنا لُعبة الـ .....
قاطعها فى صرامة ، قبل أن تتمَّ عبارتها :
ـ لا .
لحظتها فقط تنبَّهت إلى أنه غاضب ..
ولحظتها فقط نسيت كل شىء ..
كل شىء إلا هو ..
وغمغمت :
ـ هل ضايقك ؟
أجابها فى حدَّة :
ـ رائع .. يا لك من قوية الملاحظة ! .. هل لاحظت ذلك الآن ؟
اقتربت منه فى مزيج أُمومى رائع من الحنان والتعاطف والأسف ، وهى تقول فى همس :
ـ ماذا يغضبك ؟
هتف بصوت غاضب :

— هل تسألين ؟

أدركت على الفور ما يَعْنِيه ، فَغَمْغمت فى تخاذُل :

— إنها رحلة ، ولقد ظَنَنْت .....

قاطعها فى جِدَّة :

— ظَنَنْت ماذا ؟

همست فى أسف :

— تصوَّرت أنه يمكننا أن نمرح قليلاً .

هتف مُحْنَقًا :

— وهل سألتنى رأيى ؟

أطرقت برأسها فى حزن ..

حبها منعها من أن تغضب ..

وهذا هو الحب ..

لو قال لها (مجدى) هذا للكمته فى أنفه ..

ولو فعلها (ماهر) لألقت على مسامعه محاضرة فى التحضُّر والرُّقى ..

ولكن (منير) وحده قالها دون أن يغضبها ..

وفى استسلام وانكسار ، جعلاها تبدو أشبه بجدَّتها منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، غمغمت :

— أنا آسفة .

هتف :

— وهل يكفى هذا ؟

سألته فى أسف :

— وماذا يكفيك ؟

صمت لحظات ، وكأنما لم يكن يتوقَّع هذا الجواب ، ثم غمغم :

— لا شىء .

انتهت مناقشتهما بهذا الرَّد المقتضب ، وتوقَّفت (إنجى) عن اللهو والمرح باقى الرحلة ..

وعاد العصفور إلى القفص ..

قفص الحب ..

وعندما رَوَت (إنجى) لصديقتها (فاتن) هذا ، بعد عودتها من الرحلة ، غمغمت (فاتن) فى قلق :

— أهذا أسلوبه دَوْمًا ؟

أجابتها (إنجى) بصوت خفيض ، وكأنما تحاول إيجاد تبرير :

— أنت تعلمين أنه يميل إلى الرصانة ، و .....

قاطعتها (فاتن) :

— أأنت مقتنعة بهذا ؟

تردَّدت (إنجى) لحظة ، ثم غمغمت :

— وهل من سبب آخر ؟

أجابتها (فاتن) فى صرامة :

ــ الرغبة فى السيطرة مثلًا .

هتفت (إنجى) :

ــ لا .. (منير) ليس هكذا .

قالت فى حزم :

ــ هل يمكنك الجزم بذلك ؟

هتفت (إنجى) فى سرعة :

ــ بالطبع .. إنه أكثر رصانة من أن .....

قاطعتها (فاتن) :

ــ من قال إنه أكثر رصانة ؟

ارتبكت (إنجى) ، وغمغمت :

ــ أنا .. وكل الناس تقريبًا .

أجابتها (فاتن) فى صرامة :

ــ لا .. أنت وحدك تقولين هذا ، أما الآخرون ، فرأيهم فيه أن صمته لا يعود إلى الرصانة ، وإنما إلى فراغ العقل .

هتفت (إنجى) فى غضب :

ــ كفى يا (فاتن) .. لست أسمح لك بهذا القول .

انتبهت (فاتن) إلى أن حبَّ (إنجى) لـ (منير) كفيل بمنعها من رؤية عيوبه تمامًا ، فغمغمت :

ــ إننى لم أقصد .

ثم أضافت ، وهى تتطلَّع إلى (إنجى) فى حنان :

ــ ولكننى أخشى عليك .

سألتها (إنجى) فى حَيْرَة :

ــ من ماذا ؟

أجابتها مُشفقة :

ــ من القضبان يا (إنجى) .. من السجن الذهبى .

غمغمت (إنجى) ، وقد تضاعفت حَيْرَتها :

ــ أيَّة قضبان ؟ وأى سجن ؟

أجابتها فى تعاطف :

ــ القضبان التى يحيطك بها (منير) تدريجيًّا يا (إنجى) .. قفص الحبِّ الذهبى .

ثم تنهَّدت فى عمق ، قبل أن تستطرد :

ــ إنك تعشقين حريتك يا (إنجى) ، ولكن حبك لـ (منير) يجعلك تتنازلين عنها تدريجيًّا ، حتى أننى أخشى أن يأتى يوم يستيقظ فيه حبك للحرية ، فتجدينه قد أحاطك بقضبان حبه وغَيْرَته تمامًا ، وعندئذ سيكون عليك أن تختارى بكل حزم ، ما بينه وبين حريتك .

تمتمت (إنجى) فى خوف :

— لست أظن الأمر يبلغ هذا الحد .

هزت (فاتن) كتفيها ، قائلة :

— من يدرى ؟

ثم عادت تسألها فى اهتمام :

— ولكن من ستختارين لو حدث هذا ؟

اتسعت عينا (إنجى) فى هلع ، ولاذت بالصمت لحظات ، ثم غمغمت فى خفوت ملتاع :

— لست أدرى .. صدقينى .. لست أدرى .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين الهاتف على نحو مباغت ، حتى أن جسد (إنجى) قد انتفض فى شدة ، قبل أن تقفز يدها إلى سماعته ، فتنتزعها وتضعها على أذنها ، قائلة :

— من المتحدث ؟

أتاها صوت كادت تنساه ، يقول :

— سمعت أنكما قد تشاجرتما .

لاذت بالصمت فى دهشة وضيق ، حتى استطرد صاحب الصوت فى خفوت :

— ألم تعرفينى يا (إنجى) ؟.. أنا (مجدى) .

وخفق قلبها فى قوة ..

* * *

٩ — المفاجأة ..

مضت لحظات لم تنطق فيها (إنجى) حرفًا ، حتى سألتها (فاتن) فى قلق :

— من المتحدث ؟

حدقت (إنجى) فى وجهها لحظة فى شرود ، ثم لم يلبث حاجباها أن انعقدا فى صرامة ، وهى تقول :

— ماذا تريد يا (مجدى) ؟

ارتفع حاجبا (فاتن) فى دهشة ، وهى تسمع الاسم ، فى حين أجاب (مجدى) عبر الأسلاك :

— أردت الاطمئنان عليك فحسب ، فقد أخبرنى أحد الزملاء أنك قد تشاجرت مع (منير) فى رحلة (الإسكندرية) .

أجابته فى صرامة :

— وماذا فى هذا ؟.. كل المحبين يتشاجرون ويتصافون .

ضغطت حروف كلمة (المحبين) وهى تنطقها ، فقال فى ضيق :

ـ محبُون ؟!.. أحقًا يا (إنجى) ؟
أجابته فى بُرُود استفزازى .
ـ ألديك شك فى أننى أحبّه ؟
قال فى مرارة :
ـ أنسيت حبّنا يا (إنجى) ؟
هتفت فى دهشة :
ـ حبّنا ؟!.. عجبًا !!.. كنت أظن أن جثته قد تحلّلت فى قبره منذ زمن .
صاح :
ـ ولكننى ما زلت أحبُك يا (إنجى) .. أحبُك .
قالت فى سُخرية :
ـ هكذا ؟!.. وماذا عن (سلمى) ؟
هتف فى لهفة .
ـ سأتركها غدًا لو أردت .
انعقد حاجباها ، وهى تقول :
ـ يا لك من وغد !
هتف فى ذُهُول :
ـ أنا ؟
قالت فى حدّة :

ـ نعم أنت .. أنت وغد زنيم حقير .
صاح ملتاعًا :
ـ (إنجى) .. ماذا تقولين ؟
أعادت السمّاعة إلى موضعها فى عنف ، فهتفت بها (فاتن) :
ـ يا للسخافة !!.. هل يحاول ذلك الحقير إعادة علاقته معك ؟
أجابتها (إنجى) فى ازدراء :
ـ إنه واهم ، سخيف .. لقد تصوَّر أن شجارًا بسيطًا بينى وبين (منير) ، سيمنحه فرصة استعادتى .
انفجرت فجأة مستطردة فى حَنَق :
ـ ألا يعلم أننى أرفضه ، حتى ولو كان الرجل الوحيد فى الدنيا ؟
غمغمت (فاتن) مشفقة :
ـ دَعْكِ منه .
ثم استطردت فى سرعة ، وكأنما تحاول نقل تفكير (إنجى) إلى نقطة أخرى :
ـ أخبرينى ، متى سيتقدّم (منير) لِخِطْبتِك .
ابتسمت (إنجى) فى حياء ، وقالت :

ـ بعد انتهاء امتحانات السنة النهائية ..

ابتسمت (فاتن) فى حنان ، وهى تقول :

ـ كم سيسعدنى هذا ..

هتفت (إنجى) :

ـ بل قُولِى كم سيسعدنى أنا .

وكانت تعْنى قولها بالضبط ..

لقد كان قلبها يرقص طربًا ، كلما اقترب موعد نهاية امتحانات (منير) ..

وفى اليوم الأخير ، كان انفعالها يكاد يبلغ ذِرْوَته ، وهى تنتظره أمام لجنة الامتحان ..

وفجأة ، سمعت إحدى زميلاتها تقول فى توتُّر :

ـ (إنجى) .. إنهم يطلبونك فى حجرة رعاية الشباب .

انتابها قلق مفاجئ ، وهى تسألها :

ـ لماذا ؟.. ماذا حدث ؟

تردَّدت الزميلة لحظة ، ثم قالت :

ـ يبدو أنها محادثة هاتفية .

حدَّقت (إنجى) فى وجهها لحظة ، وكأنما تحاول أن تستشفَّ منها حقيقة الأمر ، ثم اندفعت نحو حجرة رعاية الشباب ، وسألتها المشرفة :

أأنت (إنجى سلماوى) ؟

أجابتها وقلبها ينبض فى عنف :

ـ نعم .. أنا هى .

ناولتها المشرفة سمَّاعة الهاتف ، وهى تقول :

ـ إنها مكالمة عاجلة من منزلك .

اختطفت (إنجى) سمَّاعة الهاتف من يد المشرفة ، وقد تضاعف قلقها عشرات المرَّات ، وراح قلبها يخفُق فى قوة رهيبة ، وهى تهتف :

ـ من ؟.. من المتحدِّث ؟

أتاها صوت شقيقتها (مَرْوَة) ، وهى تهتف :

ـ (إنجى) .. احضرى على الفور .. أمِّى فى غيبوبة .. احضرى بسرعة أرجوك .

انطلقت خارج الحجرة ، دون أن تنتظر بقية الحديث ، وقلبها ينبض كالقنابل ..

أمها فى غيبوبة ..

أمها الحبيبة ..

كم هو رائع حب الأبناء للآباء ..

لقد نسيت (إنجى) كل شىء ، عندما علمت أن أمها مريضة ..

نسيت (منير) ، والامتحانات ..

نسيت كل شيء ..

وانطلقت إلى خارج الكلية ، تبحث عن واحدة من سيارات الأجرة ، تنقلها إلى منزلها بأقصى سرعة ..

وفجأة سمعت صوت (ماهر) يهتف :

ــ ماذا بك ؟.. إنك تبدين فى حالة رُعب وهَلع !

هتفت به :

ــ أمى فى غيبوبة ، ولابدّ أن أعود إلى المنزل بسرعة .

هتف فى جزَع :

ــ أمك ؟

ــ ثم أمسك ذراعها ، مستطردًا فى انفعال :

ــ أسرعى .. سأنقلك إلى هناك .

تبعته إلى سيارته بلا تفكير ، وانطلق هو بها إلى منزل أمها فى سرعة ، واتصل من هناك بوالده الطبيب الشهير ، فهرع إلى المنزل ، وبذل أقصى جهده حتى استعادت الأم وعيها ، فألقت (إنجى) نفسها بين ذراعيها ، هاتفة :

ــ أمى .. أمى الحبيبة .. كم أرعبتنى .

غمغمت أمها فى وَهَن :

ــ لا عليك يا (إنجى) .. إنها وعكة بسيطة .

أجاب والد (ماهر) فى حزم :

ــ ولكنك تحتاجين إلى راحة تامة فى الفراش ، لأسبوع كامل على الأقل .. وتحتاجين أيضًا إلى حقنة (كورتيزون) على الفور .

هبّت (إنجى) هاتفة :

سأذهب لإحضارها .

هبّ (ماهر) خلفها ، قائلًا :

ــ سأوصلك إلى أقرب صيدلية .

صحبته إلى سيارته ، ولم يكد ينطلق حتى غمغمت :

ــ كيف يمكننى أن أشكرك يا (ماهر) ؟

أجابها فى هدوء :

لا داعى لذلك . لم أفعل سوى واجبى .

ابتسمت فى امتنان ، مغمغمة :

ــ شكرًا لك على أداء واجبك .

أوقف سيارته خلف إشارة المرور الحمراء ، وهو يقول دون أن يواجهها :

ــ أنت تعلمين أننى مستعد للدوران حول الأرض جريًا ، استجابة لأقل نداء لك يا (إنجى) .

تمتمت ، وهى تتحاشى النظر إليه :

ـ أعلم ذلك .

وفجأة تجمَّدت الدماء فى عروقها ، واحتبس صوتها فى حلقها ، وكادت عيناها تقفزان من محجريهما ..

فأمامها ..

أمامها تمامًا ، وداخل السيارة التى تجاور سيارة (ماهر) ، خلف إشارة المرور ، كان يجلس (منير) ..

وكان يحدِّق فى وجهها مباشرة ، وعيناه تحملان انطباعين ارتجف لهما قلبها تمامًا ..

الغضب ، و .....

والكراهية ..

* * *



١٠ ـ انهيار ..

« لماذا ؟.. » ..

شهقت (إنجى) بالعبارة ، وسط فيض من الدموع والألم والقهر والمرارة ، وانتحبت فى شدة ، وهى تهتف مستطردة :

ـ لماذا فعل بى هذا يا (فاتن) ؟.. لماذا ؟

كان قلب (فاتن) يتمزَّق من أجلها ، وهى تجيبها :

ـ مزيج من الغيرة والغضب يا (إنجى) .. لقد رآك فى سيارة (ماهر) وحدكما ، ولم يحتمل هذا ، و .....

قاطعتها فى انهيار :

ـ وماذا يا (فاتن) ؟.. كان ينبغى أن يعرف السبب أوَّلًا .. لقد كنت مضطرة ، وأنت تعلمين ذلك ، ولكنه يرفض الاستماع إلىَّ .. مجرَّد الاستماع .

تمتمت (فاتن) :

ـ امنحيه بعض الوقت ، وقد .....

قاطعتها مرَّة أخرى :

ـــ لا يا (فاتن) .. إنه هذه المرَّة يختلف .. يختلف كثيرًا .. أقول لك إنه يرفض مجرَّد الاستماع إلىَّ ، ولقد حاولت الاتصال به هاتفيًا أكثر من مرَّة ، ولكنه يقطع الاتصال ، فور سماعه صوتى .

وانخرطت مرَّة أخرى فى البكاء ، مستطردة :

إنه يرفض أن يعرف السبب يا (فاتن) .

بكى قلب (فاتن) معها ، ودمعت عيناها وهى تشاهد انهيارها لأوَّل مرَّة ، ثم لم يلبث الحزم أن تفجَّر فى نفسها ، فقالت :

ـــ سأتحدَّث أنا إليه .

رفعت (إنجى) رأسها إليها فى لهفة ، وهى تهتف :

ـــ حقًّا ؟!

نهضت قائلة فى لهفة حاسمة :

ـــ نعم .. سأذهب إليه ، وسأشرح له كل شىء .

أمسكت (إنجى) يدها فى قوة ، وهى تهتف :

ـــ (فاتن) .. كيف أشكرك ؟.. كيف ؟.. إنك حقًّا صديقة مخلصة .

أجابتها (فاتن) فى إشفاق :

ـــ المهم أن يستمع إلىَّ يا (إنجى) .

هتفت بها (إنجى) فى ضراعة :

ـــ ابذلى أقصى جهدك يا (فاتن) .. أرجوك .

تنهَّدت (فاتن) فى إشفاق ، وهى تغمغم :

ـــ سأفعل يا (إنجى) .. أعِدك أن أفعل ..

ولقد حافظت على وعدها ..

ولكن (منير) كان أشدّ صلابة من حائط الصلب ..

لقد رفض الاستماع إليها تمامًا ، وهى تقول :

صحيح أنك رأيتها فى سيارة (ماهر) ، ولكن .....

قاطعها فى حزم :

ـــ لست أحب التحدُّث فى هذا الأمر .

واصلت وكأنها لم تسمعه :

ـــ لقد كانت أُمها مريضة ، و .....

قاطعها مرَّة أخرى :

ـــ لا داعى لأكاذيب سخيفة ، فلست بالغِرِّ الساذج ، الذى يمكنه أن يصدِّق هذه التُّرهات .

عقدت (فاتن) حاجبيها فى غضب ، وقالت فى صرامة :

ـــ من حُسن حظك أننى هنا لأمر يخصّ (إنجى) ، فلو أن الأمر يخصُّنى أنا لندمت على أسلوبك هذا .

عقد حاجبيه بدَوْرِه ، وهو يقول :

ـ ماذا كنت ستفعلين ؟.. تضربيننى ؟

قالت فى حدة :

ـ ربما .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، فاستطردت فى حَنَق :

ـ إنك تستحق الضرب فى الواقع ، كأى طفل عنيد ، فأنت ترفض الاستماع إلىّ ، وترفض الاقتناع بأن (إنجى) كانت مضطرة لركوب سيارة (ماهر) ، وكأنك قد أصدرت حكمك مسبقًا ، فى حين ينبغى للمحبّين دوْمًا أن .....

قاطعها فى مزيج من السُّخرية والحِدّة :

ـ أى محبّين ؟

أجابته فى تحدٍّ :

ـ أتنكر أنك تحبّ (إنجى) ؟

أجاب فى بُرُود :

ـ كان هذا فيما مضى .

هتفت به :

ـ كاذب .. أنت تعاند وتكابر فحسب .

أجابها فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

ـ أتراهنين ؟.. إننى أقول لك إن كل ما بينى وبين (إنجى) قد انتهى ، وأنا أعْنِى ما أقول تماما .

شَحُبَ وجه (فاتن) ، وهى تقول :

ـ هل ستتخلّى عنها ؟

أجابها فى صرامة شامتة :

ـ لقد فعلت بالفعل .

رَانَ الصمت لحظة ، وعقل (فاتن) الذّاهل يحاول استيعاب الأمر ، قبل أن تغمغم فى توتُّر :

ـ اسمع يا (منير) .. ليس من السهل أن يتخلّى محبّ عن محبوبته على هذا النحو .

أجابها فى برود :

ـ يمكنك أن تبدئى فى تغيير فكرتك الآن .

رَانَ عليهما الصمتُ لحظات أخرى ، و (فاتن) تحدّق فى وجهه ذَاهِلَة ، ثم لم تلبث ملامحها أن حملت مزيجًا من الغضب والحزم ، وهى تقول :

ـ أهذا قرارك النهائى ؟

أجابها فى صرامة :

ـ وبلا أدنى تردُّد أو تراجُع .

انعقد حاجباها فى شدّة ، وهى تقول :

ـ فى هذه الحالة يمكننى أن أخبرك برأيى فيك بكل صراحة أيها المغرور .

حدّق فى وجهها ، وقد أدهشه هجومها المفاجئ ، فاستطردت فى حدّة :

ـ إنك لم تحبّ (إنجى) أبدا .. نعم ... هذه هى الحقيقة .. إنك مجرّد شاب تافه مغرور ، رَاقَت لك واحدة من فتيات الكلية ، فتقرّبت إليها ، وحاولت أن تفرض عليها سيطرتك ، وأن تروّض الجواد الجامح فى أعماقها ، وعندما منحتك هى الفرصة للنجاح فى ذلك ، تضاعف غرورك ، ورُحت تمارس معها كل أساليب السيطرة السادية .. ثم حان الموعد المناسب لترتبط بها رسميًا ، وعندئذ ظهرت حقيقتك .. إنك جبان .. أجبن من أن تحتمل مسئولية كهذه .. مسئولية حياة وارتباط .. وهكذا انتظرت أوّل فرصة لاحت بالأفق ، وأنهيت علاقتك بها .

هتف فى غضب :

ـ لست أسمح لك ..

قاطعته فى صرامة :

ليس من حقّك أن تفعل .. إننى أقول ما يحلو لى .

قال فى حدّة :

ـ سأغادر المكان إذن .

أجابته فى ازدراء :

ـ افعل .. ولن يدهشنى هذا ، فلقد صار الفرار دأبك .

رماها بنظرة تحمل كل الغضب ، واندفع مغادرًا المكان فى حدّة ..

وبقيت (فاتن) ..

وبقى أمر إبلاغ (إنجى) ..

وكانت هذه أشقّ مهمّة واجهتها (فاتن) فى حياتها ..

لقد استجمعت كل شجاعتها لتخبرها ..

وتجمّدت الدموع فى عينى (إنجى) ..

تجمّد نبض قلبها بين ضلوعها ..

واتسعت عيناها فى ذُهول ..

فى هلع ..

فى استنكار ..

ثم هتفت فجأة :

ـ لا ..

سألتها (فاتن) فى دهشة :

ـ لا .. ماذا ؟

أجابتها فى حزم :

ـ لا .. لن يتركنى (منير) .. إنه يحبّنى .. أنا أعلم ذلك .. من المستحيل أن يخدعنى شعورى .. إنه يحبّنى .. إنه فقط يعاقبنى على عدم طاعتى له .

غمغمت (فاتن) مشفقة :

ـ (إنجى) .. (منير) ليس ذلك الذى تظنّينه .. إنه .....

قاطعتها فى حدّة :

ـ أقول لك لا .

ثم نهضت من مقعدها ، مستطردة فى حزم :

ـ سيعود (منير) .. أنا أعرفه .. إنه شديد العناد ، صعب المراس ، ولكنه يحبّنى .

زفرت فى قوة ، قبل أن تستطرد :

ـ سيعيده الحب .

غمغمت (فاتن) :

ـ (منير) لن يعود يا (إنجى) .. إنه لا يحب سوى نفسه .. مصلحته تعلو فوق كل شىء .

هتفت فى انهيار :

ـ لا .. لا تقولى هذا .

وشرَدَ بصرها فى الأفق ، وهى تستطرد فى حزم :

ـ سيعود .. أنا واثقة من هذا .

ولكن ضربة القدر كانت قاسية للغاية هذه المرّة ..

إن (منير) لن يعود ..

لن يعود ؛ لأنه لم يَعُد لها ..

لقد علمت ذلك عندما جاءها الخبر ..

خبر خِطْبة (منير) ..

* * *

١١ ـ العمر ..

أعوام مضت منذ هذا التاريخ ..

أعوام عديدة ..

أعوام تبدلت فيها كل الأمور ، ووضع الزمن بصماته على الأشخاص والأحداث ..

ولعل القارئ يتساءل : لماذا اكتفى بهذه العبارة ، ما دام الزمن كبيرًا إلى هذا الحدّ ؟..

وهو على حقّ ..

وأنا أيضًا على حقّ ..

القارئ على حقّ ؛ لأنه ـ كالمعتاد ـ يرغب فى معرفة كل التفاصيل ، ويخشى دَوْمًا ـ لو تجاوز فترة زمنية طويلة ـ أن تفوته بعض الأحداث ، أو يفقد التتابعات ..

وأنا على حقّ ؛ لأننى لست مؤرخًا ..

وإنما أنا كاتب وروائى ..

والروائى يختلف عن المؤرخ فى أنه لا يهتم بكل الأحداث ، وإنما بالأحداث المؤثرة فى الخيط الروائى لروايته فحسب ..

ولا علاقة للزمن بالأحداث ..

قد يحفل يوم واحد من عمر الإنسان بعشرات الأحداث ..

ثم تمض عشرات الأعوام بلا حدث واحد ..

تمضى رتيبة تقليدية ..

أو قد تكون هناك أحداث ، ولكنها أبسط من أن يشملها السَّرد ..

أو أضعف من أن تؤثر فى البناء الروائى نفسه ..

ولكننى لن أتجاوز ـــ أيًا كانت الأسباب ـــ هذه الأعوام هكذا ..

لقد حدث فيها الكثير ، مما ينبغى ذكره لا سرده ..

لقد ارتبط (منير) بالخطبة مع زميلته (منى) ، وسافر للعمل فى إحدى دول الخليج ، ثم عاد ليفتتح صيدلية صغيرة ، فى قرية مجاورة لمدينتنا ، ويعدّ العُدّة لزفافه على خطيبته ..

وعجز (مجدى) عن الاستمرار فى علاقته بـ (سلمى) ، فانفصلا ، وتزوَّجت هى ، فى حين بقى هو ـــ حتى لحظة كتابة هذه السطور ـــ بلا رفيق أو ارتباط ، وما يزال ـــ حتى الآن ـــ يحاول توطيد علاقته بـ (إنجى) مرَّة أخرى ..

أما (إنجى) ، فلقد تجاوزت الصدمة ، وعادت إلى

حيويَّتها ونشاطها ، وعادت تحمل الابتسامة على شفتيها ، والضحكة فى عينيها ، ولكنهما كانتا مجرَّد قناع سميك هذه المرَّة ..

ولها عذرها ..

إنها بشر من لحم ودم ، ومشاعر وأعصاب ..

لقد حفرت الأيام والآلام بصماتها فى أعماقها ..

وتبدَّل الكثير من شخصيتها ..

وبكل نهم ، اتجهت إلى التدخين ، وكأنها تحرق جراحها وتنفثها مع دُخان سجائرها ..

ولأوَّل مرَّة فى حياتها تخفى (إنجى) أمرًا ..

لم تكن تدخِّن سيجارتها أبدا على الملأ ..

ولا حتى فى المجتمعات شبه المغلقة ..

لقد كانت تنفث توتُّرها كله فى منزلها ، وعندما تكون وحدها ..

وتخرَّجت (إنجى) ..

أصبحت صيدلانية ..

وتزوَّجت أختها الكبرى (إلهام) ..

وبعد أيام من زواج (إلهام) ، تقدَّم (محمد) يخطب (إنجى) ..

« من (محمد) هذا ؟!.. » ..

ألقت عليها (فاتــن) السؤال فى دهشة ، فارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (إنجى) ، ونفثت دُخان سيجارتها فى هدوء ، وهى تقول :

ـ مجرَّد شاب .

هتفت (فاتن) :

ـ مجرَّد شاب ؟!.. أهذا معقول ؟.. أهذا كل ما تعلمينه عن شاب تقدَّم لخطبتك ؟

هزَّت (إنجى) كتفيها فى لامبالاة ، وهى تقول :

ـ إنه مهندس معمارى ، يعمل فى إحدى دول الخليج ، ولقد تقدَّم لخطبتى عن طريق قريبة لى ، و .....

قاطعتها (فاتن) فى مزيد من الدهشة :

ـ أنت يا (إنجى) ؟!.. أنت تتزوَّجين بهذه الوسيلة .

صمتت (إنجى) لحظة ، وهى تنفث دُخان سيجارتها ، ثم عادت تهزّ كتفيها ، مغمغمة فى استسلام :

ـ ولِمَ لا ؟

والتقطت أنفاس سيجارتها مرَّة أخرى ، وهى تستطرد :

ـ إنه شاب جيِّد على أيَّة حال ، وما دمت لست مرتبطة بآخر ، فما الضيْر من الموافقة .

هزَّت (فاتن) رأسها غير مصدِّقة ، وهى تغمغم :

ـ لم أتصوَّر أبدًا أنك ستتزوجين بهذا الأسلوب .

تمتمت (إنجى) فى شُرُود :

ـ لم يَعُد هناك سواه .

غمغمت (فاتن) :

ـ كنت أتصوَّر أنك ستتزوَّجين عن حُبّ ، و .....

بدت المرارة فى عينى (إنجى) ، إلى حدِّ جعل (فاتن) تبتر عبارتها بغتة ، وتغمغم :

ـ لم أقصد ذلك ، ولكن .....

قاطعتها (إنجى) :

ـ أنت تعلمين أننى قد حاولت .

وتقاطرت المرارة مع حروف كلماتها ، وهى تستطرد :

ـ وفشلت ..

لحظتها شعرت (فاتن) بما تُعانيه صديقة عمرها ..

ولحظتها وافقت على زواجها من (محمد) ..

وفى حفل الزفاف ، زفاف (إنجى) إلى (محمد) ـ تراجعت موافقة (فاتن) فى أعماقها فى سرعة ، وحلَّ محلَّها الكثير من القلق ..

صحيح أن (محمد) لم يكن سخيفًا أو قبيح المظهر ، ولكن

أسرته كانت تبدو متناقضة تمامًا مع أسرة (إنجى) ، مما يبعث الخوف من أن استمرار أو نجاح هذه الزِّيجة أمر عسير للغاية ..

كانت أسرة (إنجى) كعادتها ، بسيطة ، متفتِّحة ، يتصرَّف الجميع فيها فى مرح وتلقائية ، فى حين كانت أسرة (محمد) على العكس تمامًا ، مغلقة ، يطلّ الحذر والشّكّ من وجوه جميع أفرادها ، ويتصرَّف كل منهم بأسلوب شديد التعقيد والافتعال ..

ومنذ ليلة الزفاف ، أدركت (فاتن) أن هذه الزِّيجة غير متكافئة ..

و (فاتن) لم تؤمن أبدا بالزواج غير المتكافئ ..

لم تقنع أبدا بما تخرج إلينا به أفلام السينما ، عن زواج السيِّد بخادمته ، أو الخادم بسيِّدته ، أو زواج شديد الثراء من فقيرة ، أو العكس ..

وفى حفل الزفاف ، كانت ترى متناقضين يمتزجان ..

وكانت تخشى هذا الامتزاج ..

أما (إنجى) نفسها ، فقد حملت نفس الابتسامة المشرقة ، ونفس العيون الضاحكة ، ولكن دون حياة هذه المرَّة ..

كانت أشبه بممثل يؤدى دوره الذى اعتاد تأديته ، أو الذى لم يرضه تمامًا ..

وتزوَّجت (إنجى) ..

تزوَّجت على نحو لم يتوقَّعه لها أحد ..

وعلى الرغم من قلق (فاتن) الشديد عليها ، وعلى الرغم من عدم موافقتها على هذا التناقض بين العائلتين ، إلا أنها كانت تشعر بشىء من الارتياح ؛ لأن (إنجى) قد تزوَّجت ، وبدأت حياة الاستقرار ..

ولكن هذا الارتياح لم يكن له ما يبرِّره فى الواقع ..

فـ (إنجى) لم تبدأ حياة الاستقرار بهذه الزِّيجة ..

بل على العكس ..

لقد ودَّعت حياة الاستقرار ..

ودَّعتها إلى الأبد ..

* * *



١٢ ــ لمــاذا ؟..

لم يمضِ شهر واحد على زواج (إنجى) ، حتى تحقَّقت مخاوف (فاتن) ..

وبرز الخلاف على السطح ..

الخلاف بين متناقضين ..

كل شىء فى الأسرتين كان يتناقض مع مثيله فى الأخرى ..

وحتى (إنجى) و (محمد)، كان اتفاقهما مستحيلًا تقريبًا ..

ونشأ سوء الفهم من التناقض بسرعة ..

أسرة (محمد) راحت تعتبر (إنجى) امرأة مستهترة بلا قِيَم ، وخاصة مع تدخينها للسجائر ، ومرحها الزائد ..

وأسرة (إنجى) اعتبرت (محمد) شخصًا منغلقًا للغاية ..

وبدأت أسرة (محمد) تمارس أسلوبها للضغط على (إنجى) وترويضها ، وقهر طبيعتها المنطلقة ..

وقاومت (إنجى) ..

قاومت فى البداية بأسلوب مهذَّب هادئ ، لم يلبث أن استحال إلى نوع من الإصرار والعناد ، ثم تفجَّر ذلك فجأة كالقنبلة ..

انفجر الموقف فى سهرة عائليــة ، ضمَّت (إنجى) و (محمد) ، بعد عودتهما من إحدى القرى السياحية ، فى منزل (نادين) شقيقة (محمد) ، التى راحت تتطلَّع إلى (إنجى) فى بُرُود ، ثم قالت :

ــ أظن أنه قد حان الوقت لترتدى ثوب الزوجة يا (إنجى) .

سألتها (إنجى) فى دهشة :

ــ ماذا تعْنِينَ ؟

أجابتها فى بُرُود صارم :

ــ أعنِى أن عبث المراهقة هذا لم يَعُد يليق بك .

هتفت (إنجى) فى دهشة واستنكار :

ــ عبث المراهقة ؟!.. ماذا تعْنِين بقولك هذا ؟

أجابتها فى سُخْرية :

ــ أعنِى أن تلك السخافات ، والاستهتار ، و .....

قاطعتها (إنجى) فى حدَّة :

ــ أيَّة سخافات ، وأى استهتار ؟

أجابتها فى صرامة :

ـ أنت تعلمين كيف كانت حياتك قبل الزواج .

احتقن وجه (إنجى) ، وقالت :

ـ اسمعى يا (نادين) .. لقد قضيت حياتى كلها على نحو سليم .. لم أخطئ ولم أخدع أو أخالف قواعد الأدب ..

غمغمت (نادين) فى سُخرية :

ـ حقًا ؟!

صاحت بها (إنجى) :

ـ ماذا تعْنِين ؟

هزَّت (نادين) كتفيها ، وهى تقول فى خُبث :

ـ كل امرئ يدرك حقيقة نفسه .

ازداد احتقان وجه (إنجى) فى شدَّة ، وأدهشها أن زوج (نادين) قد جلس صامتًا ، منكمشًا فى مقعده ، وكأنه يخشى زوجته ، فالتفتت إلى (محمد) ، وقالت فى حدَّة :

ـ هل ستسمح لشقيقتك بهذا ؟

أجابها فى بُرُود :

ـ لست أميل إلى التدخُّل فى الأمور النسائية .

هتفت مستنكرة .

ـ أمور نسائية ؟!.. إن شقيقتك تتَّهمنى أخلاقيًّا .

أشاح بوجهه عنها ، دون أن يضيف حرفًا ، فى حين قالت (نادين) فى لهجة ساخرة ظافرة ، شامتة :

ـ أنت تعلمين ما كان الناس يتناقلونه عنك .

شعرت (إنجى) بصدمة قوية فى أعماقها ..

لم تدرك لماذا تبادرها شقيقة زوجها بالهجوم على هذا النحو ..

ولم تفهم سرَّ عزُوف زوجها عن رد شقيقته ..

ولكنها أدركت شيئًا واحدًا ..

أدركت أنها معركتها وحدها ..

أدركت أن الجميع قد تخلّوْا عنها ، وأن عليها أن تخوض حربها بمفردها ..

ولم يفتَّ هذا فى عضدها ..

لقد منحها ـ على العكس ـ قوة وحزمًا ..

ومنحها الحزم والقوة برودًا وصلابة ، وهى تقول :

ـ لماذا طلبتم يدى لشقيقك إذن ؟

أجابتها (نادين) :

ـ كنت تُرُوقين له .

أطلقت (إنجى) ضحكة ساخرة ، وقالت :

ـ هكذا .. مثل أى طفل راقت له لُعبة ، فابتاعها له والداه ، حتى ولو كانت معطُوبة .

رفعت (نادين) إحدى حاجبيها ، وهى تقول :

ــ معطوبة ؟!.. نعم .. هذا هو المصطلح الصحيح .

مالت (إنجى) نحوها ، وهى تقول فى هدوء :

ــ أتعلمين ما هو الشىء المعطوب هنا ؟

لم تنبس (نادين) ببنتِ شفَة ، وهى تتطلّع إليها فى برود ، فأضافت (إنجى) وهى تبتسم :

ــ عقلك يا عزيزتى .. عقلك هو الشىء المعطوب هنا .

انعقد حاجبا (نادين) فى غضب ، وهتف (محمد) :

ــ (إنجى) .. حذارِ .. لن أسمح لك .....

قاطعته هادرة :

ــ لن تسمح لى ؟!.. يا للمهزلة !!.. إذن فأنت لا تجد غضاضَة فى التدخّل فى الأمور النسائية ، عندما تكون شقيقتك هى الطرف المصاب فيها ، أما عندما يتعلق الأمر بزوجتك فأنت أكبر من ذلك .

هتف فى حِدّة :

ــ كفَى يا (إنجى) .

صاحت به :

ــ لا يا (محمد) .. لن أكُفّ عن رد الإهانة أبدًا .. إن شقيقتك تطعننى فى شرفى وأخلاقى أمامك ، دون أن تحرّك

ساكنًا ، ثم إذا بك تتحوّل فجأة إلى ليْث ضرغام ، عندما أحاول أنا الدفاع عن نفسى .

انعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يقول :

ــ أنت غير مهذّبة .

غمغمت شقيقته فى سُخْرية :

ــ وماذا كنت تتوقّع ؟

هتفت بها (إنجى) :

ــ أطبقى أسنانك على لسانك أيّتها الحيّة الرقطاء ، وإلا نزعته من حلقك ، وألقيت به طعامًا للكلاب ..

وتفجّر الموقف فى شدّة ..

لقد بدأت الحرب ..

وفتح الجحيم أبوابه ..

ولم يكن ذلك الموقف ، فى منزل (نادين) ، سوى بداية لمعركة بين أسرتى (إنجى) و (محمد) ، انتهت بأن لاذت (إنجى) بمنزل والديها ، وأصرّت على عدم العودة إلى منزلها ..

وهرعت إليها (فاتن) ، فور علمها بما حدث ، وأدهشها أن وجدتها هادئة للغاية ، على الرغم من الموقف ، فهتفت بها :

ــ ماذا حدث يا (إنجى) ؟..

أجابتها (إنجى) فى هدوء ، لا يخلو من الحزم :

ــ لن أحتمل هذه العائلة يا (فاتن) .

غمغمت (فاتن) فى إشفاق :

ــ كان هذا واضحًا يا (إنجى) ..

ثم سألتها فى اهتمام :

ــ ولكن ما موقف (محمد) ؟

أجابتها باختصار شديد :

ــ حقير .

ضايق المصطلح (فاتن) ، لتقديسها الشديد ــ بحكم ديانتها ــ لاسم (محمد) ، فغمغمت :

ــ ليس إلى هذا الحدّ .

أجابتها (إنجى) فى حزم :

ــ بل هو كذلك .

قالت (فاتن) محاولة تهدئتها :

ــ إنه زوجك على أيّة حال .

قالت فى صرامة :

ــ ليس بعد .

سألتها (فاتن) فى جَزَع :

ــ ماذا تعْنِين ؟

أجابتها فى حَزْم :

ــ لقد طلبت الطلاق .

هتفت (فاتن) :

ــ الطلاق ؟!.. لا يا (إنجى) .. لا ينبغى أن تصل الأمور أبدًا إلى هذا الحدّ .

تطلّعت إليها (إنجى) فى دهشة ، وهى تقول :

ــ لا ينبغى ؟!.. ما هو الذى ينبغى إذن ؟.. أن أحيا عمرى كله مع شخص أبغضه ؟!.. لا يا (فاتن) .. لقد عشت حياتى كلها واقعية منطقية ، وأعترف بأن الخطأ الوحيد فى حياتى هو زواجى من (محمد) ، ومن حُسن الحظ أن إصلاح هذا الخطأ أمر هيِّن .

قالت (فاتن) فى أسف :

ــ ولكنك لا تدرين ما معنى الطلاق فى مجتمعنا هذا يا (إنجى) .. إننا مجتمع لم ينضج بعد .. مجتمع تقاليد بالية كما تقولين ، ولكن الجميع ينحنون أمامها فى استسلام تام .

قالت فى عناد :

ــ فليذهب المجتمع إلى الجحيم .. لن أتنازل عن حريتى هذه المرَّة أبدًا .

فى هذه اللحظة دخلت (مروة) شقيقة (إنجى) إلى الحجرة ، وغمغمت فى تردُّد :

ــ (إنجى) .. هناك ضيفة تطلب رؤيتك .

سألتها (إنجى) فى هدوء :

ــ من هى ؟

تردَّدت (مروة) مرَّة أخرى ، ثم قالت :

ــ (نادين) .

حدَّقت (إنجى) فى وجهها فى دهشة ، قبل أن تسألها :

ــ (نادين) من ؟

كان السؤال يبدو بلا معنى ، ولكن (مروة) أجابت فى خُفُوت :

(نادين) أخت (محمد) .

رَانَ الصمت لحظات ، و (إنجى) تحدِّق فى وجه شقيقتها ، قبل أن ينعقد حاجباها فى حدَّة ، وهى تقول :

ــ اطرديها .

هبَّت (فاتن) قائلة :

ــ لا يا (إنجى) .. لا تفعلى .

هتفت (إنجى) فى حدَّة :

ــ سأفعل كل ما يحلُو لى ، لن يسلبنى أحد حرِّيتى بعد الآن .

رَبَّتت (مروة) على كتفها مهدِّئة ، وقالت :

ــ لا عليك يا (إنجى) .. سأطلب منها الانصراف ، و .....

قاطعها صوت (نادين) ، وهى تقول :

ــ سأنصرف يا (مروة) ، ولكن بعد أن أخبر (إنجى) ما لدىَّ .

التفتت إليها (إنجى) فى غضب ، وهى تقول :

ــ ماذا تريدين ؟.. كيف دخلت إلى حجرتى دون استئذان ؟

أجابتها (نادين) فى حزن واضح :

ــ أعتذر يا (إنجى) ، ولكن من الضرورى أن أتحدَّث إليك .

أشاحت (إنجى) بوجهها عنها ، وهى تقول :

ــ لم يَعُد بيننا حديث .

قالت (نادين) فى مرارة :

ــ لابدَّ أن يكون بيننا حديث يا (إنجى) ، فـ (محمد) يحتاج إليك .

قالت فى عِناد :

ــ يا للسخافة !!.. وأنا ؟.. ألا أحتاج إلى رجل ؟

أكملت (نادين) ، وكأنها لم تسمعها :

ــ (محمد) مصاب بورم فى المخ يا (إنجى) .

رَانَ الصمت تمامًا بعد عبارة (نادين) ، وبدت دهشة

عارمة على وجه (إنجى) ، وهــى تلتــفت فى بطء إلى (نادين) ، مغمغمة :

— متى ؟.. متى عرفتم هذا ؟

سالت دمعة حزن من عينى (نادين)، وهى تقول :

— إنه يشعر بالصداع منذ زمن ، ولقد أجرى بعض الفحوص أمس ، وتبيَّن أنه مصاب بورم فى المخ ، ويحتاج إلى إجراء جراحة عاجلة فى (ألمانيا) .

رَانَ الصمت مرَّة أخرى ، من هَوْلِ المفاجأة ، حتى غمغمت (إنجى) :

— ومتى يسافر ؟

أجابتها (نادين) :

— بعد غد .. لقد أجرينا كل الترتيبات اللازمة .

ثم أضافت ضارعة : .

— وهو يحتاج إليك .

رَانَ الصمت للمرَّة الثالثة ، قبل أن تقول (إنجى) فى حزم :

— انتظرينى .. سأذهب معك .

ثم التفتت إلى (فاتن) ، مستطردة :

— معذرة .. إن زوجى يحتاج إلى وجودى ..

وعادت إليه ..

* * *

١٣ — الجحود ..

كانت (إنجى) رائعة حقًا بموقفها هذا ..

لقد عادت إلى زوجها ..

عادت إليه ؛ لأنه يحتاج إليها ..

عادت كأيَّة زوجة شريفة مخلصة ..

ولم تذكر حرفًا واحدًا عن خلافهما ، وهى تعدّه للسفر ، بل على العكس ، ظلَّ وجهها يمنحه — حتى لحظة سفره — تلك الابتسامة المشرقة ، والعينين الضاحكتين ..

وسافر (محمد) ..

سافر ليُجرى عمليته الجراحية فى (ألمانيا) ..

وبقيت (إنجى) تنتظره بمشاعر سلبية عجيبة ..

لم تكن تشعر بالخوف من أجله ، بل بالشفقة التى يشعر بها أى إنسان ، تجاه مريض مُقْدِم على جراحة بالغة الخطورة ، قد لا تُكتب له النجاة منها أبدًا ..

شعور سلبى عجيب ..

لم يكن أبدًا شعور زوجة نحو زوجها ..

ربما لأنها لم تحبه أبدًا ..

أو لأنها كرهته ..

لقد عادت إليه بجسدها ؛ لأن الواجب يقتضى ذلك ، ولكنها لم تعُد إليه أبدًا بعقلها أو بقلبها ..

لقد كرهته تمامًا ، منذ تلك الليلة التى تخلَّى عنها فيها ، فى منزل شقيقته ..

أخرجته من قلبها وعقلها إلى الأبد ..

حتى عندما جاءتها الأنباء بأنه قد أجرى الجراحة فى أمان ، وأن عملية استئصال الورم لم تنجح تمامًا ..

يومئذ لم تفرح ..

فقط شعرت بالارتياح ..

الارتياح ؛ لأنها بعد شفائه تستطيع أن تطالبه بالطلاق ..

لو فشلت العملية لم تكن لتجرؤ على مطالبته أبدًا ..

هكذا تقول قواعدها ..

وفى نفس اليوم ، الذى وصل فيه نبأ نجاح العملية ، دخلت أمه حجرة (إنجى) ، وقالت بعينين متألقتين :

ــ لقد بلغك خبر نجاح عملية (محمد) .. أليس كذلك ؟

أجابتها (إنجى) مبتسمة :

ــ بلى .. لقد علمت .. شكرًا لله .

قالت الأم فى شراسة خفيَّة :

ــ كنت تتمنَّين موته بالطبع .

حدَّقت (إنجى) فى وجهها بدهشة ، وتمالكت أعصابها ، وهى تقول :

ــ كيف يا أمَّاه ؟. كيف أتمنَّى موت زوجى ؟

أجابتها حماتها فى حدَّة :

ــ لترثيه .

هتفت (إنجى) فى دهشة :

ــ أرِثه ؟!.. وهل يملك ثروة لأرِثه ؟

صاحت بها الأم :

ــ كَفَى تخابثًا .. أنت تعلمين بالطبع أنه يملك هذا المبنى ، ومبلغًا ضخمًا فى البنك .

حدَّقت (إنجى) فى وجهها بذُهول ، هاتفة :

ــ أُقسم لكِ إننى لم أعلم هذا سوى الآن .

قالت الأم فى شماتة عدوانية :

ــ لا يهم .. حتى ولو كُنتِ تعلمين ، ما كُنتِ لترثى شيئًا .. لقد احتاط ابنى للأمر .

غمغمت (إنجى) فى ذُهُول :

ــ ماذا ؟

تابعت السيِّدة فى لهجة استفزازية :

ــ لقد خشى أن يموت فى أثناء إجراء العملية ، فكتب كل ما يملك باسم أشقائه ، حتى لا تنالى قرشًا واحدًا منه .

اختلط ذُهُول (إنجى) بمزيج من الغضب والسُّخط ، وهى تسمع هذه العبارة ..

أيّة حقارة هذه ؟..

كيف يفكّر ذلك الحقير بهذا الأسلوب ؟..

المال ؟!..

أهذا كل ما يهمه ؟..

أهذا هو شعوره الحقيقى نحوها ، بعد كل ما فعلت من أجله ؟

لقد عادت إليه وهى تبغضه ؛ لأنه كان يحتاج إليها ..

أهذه مكافأتها ؟..

وبكل الكبرياء والحزم واجهت أمه ، قائلة :

ــ فليحتفظ ابنك بأمواله ، فلست أبتغى منه شيئًا .

أطلقت السيِّدة ضحكة ساخرة شامتة ، وهى تهتف :

ــ هكذا ؟!.. يا للنزاهة !

ثم أضافت فى شراسة :

ــ أتظنِّين أننا لم نفهمك ؟.. لا يا بنة الطبقة الراقية .. إننا أذكى مما تتصوَّرين كثيرًا .. لقد عُدتِ إلى ابنى ، عندما علمت أنه مشرف على الموت ، خشية أن يطلِّقك قبلها ، فلا تنالى من ثروته شيئًا .. (نادين) قالت هذا .

هتفت (إنجى) فى ذُهُول :

ــ (نادين) ؟!.. ولكنها تعلم لماذا أتيت ؟.. هى التى .....

قاطعتها الأم فى حدَّة :

ــ إننا نفهمك على حقيقتك .

وغادرت الحجرة فى حدَّة ، دون أن تسمح لها بالتعليق ..

ولدقيقة كاملة ، بدت (إنجى) أشبه بتمثال من الرخام ، وهى تقف فى مكانها جامدة ، ذاهلة باردة ..

ثم فجأة ، انفجرت باكية ..

كيف يفعلون بها هذا ؟..

بل لماذا يفعلونه بها ؟..

فكَّرت جدِّيًا فى حمل حقيبتها ، والعودة إلى منزلها ، إلا أن عقلها لم يلبث أن أشار عليها بالبقاء ، حتى يصل زوجها ..

عندئذ يمكنها أن تفعل ما يحلو لها ..

ووصل (محمد) ..
عاد أكثر هدوءًا وحزمًا ..
وقبل أن يأتى إليها ، قضى ليلته فى منزل شقيقته (نادين) ، فى القاهرة ..
وعندما عاد إلى مدينته الصغيرة ، كان الهدوء قد تلاشى ..
استقبلته (إنچى) بابتسامة هادئة ، وهى تقول :
ـ حمدًا لله على سلامتك يا (محمد) .
صافحها فى بُرُود ، وهو يقول :
ـ شكرًا لك .
ثم أضاف فى حزم :
ـ تعالَى .. أريد التحدُّث إليك وحدنا .
تبعته إلى حجرتهما ، حيث أوصد الباب خلفه ، وهو يقول :
ـ ماذا فعلت فى أثناء سفرى ؟
أدهشها سؤاله ، ولكنها أجابت بأقصى قدر ممكن من الهدوء :
ـ وماذا سأفعل هنا ؟.. إنها مدينة صغيرة كما تعلم .
تطلَّع إليها لحظات فى شكّ ، ثم قال فى حدَّة :
ـ ألم تمارسى لُعبة التنس فى النادى ، وأنت ترتدين سروالًا قصيرًا ؟

هتفت فى دهشة :
ـ أنا ؟!
ثم أضافت فى حَنَق :
ـ ألا تعلم جيدًا أننى لا أجيد لُعبة التنس ؟
تجاهل عبارتها ، وهو يقول فى غضب :
ـ وماذا عن ثوب الاستحمام الفاضح ؟
حدَّقت فى وجهه فى ذُهُول .
أى قول هذا ؟!..
عمَّ يتحدَّث بالضبط ؟!..
من وضع تلك الأفكار العجيبة فى رأسه ؟..
هل أصابه الجُنُون ؟..
نعم ..
هذا محتمل ..
ربما كان هذا من مضاعفات إزالة ذلك الورم من المخ ..
وغمغمت فى خُفُوت :
ـ (محمد) !.. ماذا أصابك ؟
صاح فى وجهها غاضبًا :
ـ أفَقْتُ .. عرفت الحقيقة .

هتفت ذاهلة :

ـــ أيّة حقيقة ؟

انفجر فى وجهها :

ـــ حقيقتك .

تراجعت كالمصعوقة :

ـــ حقيقتى .

راح يلوّح بذراعيه فى حدّة ، صارخا :

ـــ نعم .. عرفت حقيقتك .. عرفت أيّة مستهترة تزوّجت .. أغيب عن المدينة شهرًا أو يزيد ، فترتكبين كل الموبقات .

هتفت فى ذُهُول :

ـــ الموبقات ؟

ثم التقى حاجباها فى غضب ، وهى تستطرد :

ـــ حَذَارِ يا (محمد) .. إنك تهيننى .

صرخ :

ـــ أنا أهينك أنت .

ثم هوَى على وجهها بغتة بصفعة مُدوّية ، ارتجّ لها كيانها كله ، قبل أن يواصل صراخه فى ثورة :

ـــ أنا أهينك أيّتها العاهرة ؟ . ألا يكفيك كل ما فعلته بأمى فى غَيْبَتى ؟ .

أما تكفِيك إهاناتك لها ؟ .

راح يصب عليها جام غضبه ، وهى تحدّق فيه فى ذُهُول ، ويدها على وجهها فى موضع صفعته ..

لم تدافع عن نفسها ..

لم تحاول ..

لقد شعرت بعدم جدوى هذا ..

بقيت صامتة تستمع إلى إهانتها ..

ومن العينين العسليتين ، سالت دموع القهر والمهانة والمذلّة ..

يا له من جاحد !!

يا لهم جميعًا من جاحدين !! ..

وفجأة ، انفجر صمتها ..

انفجر عن كلمة واحدة :

ـــ طلّقنى .

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حدّة :

ـــ ماذا ؟

صرخت بكل آلامها :

ـــ طلّقنى يا (محمد) .. لم أعد أحتمل العيش معك .

أطلق ضحكة عصبيّة ، وهو يقول :

ــ هكذا ؟.. وبكل بساطة ؟

هتفت فى انهيار :

ــ نعم يا (محمد) .. لن نعقّد الأمور .. لست أريد منك شيئًا .. فقط طَلِّقنى يا (محمد) .. طلِّقنى .

رَانَ عليهما الصمت لحظات ، وهو يحدّق فى وجهها بغضب ، قبل أن يقول فى صرامة :

ــ مُحال .

صرخت :

ــ طلِّقنى .. أرجوك .

هتفت فى حدّة :

ــ لا .. لن تنالى الطلاق .. سأبقيك هكذا ..

صرخت :

ــ أرجوك يا (محمد) .

صرخ بدوْرِه :

ــ لا .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا :

ــ فى هذا الأمر بالذات لا تملكين سوى طاعتى .

ثم رفع رأسه مضيفًا فى شراسة :

ــ وستتعلمين هذه الطاعة .

وتركها وحدها فى منتصف الحجرة ، وانصرف ..

وانهارت (إنجى) ..

انهارت تمامًا ..

إنها لم تعُد تحتمل ..

لم تعُد تحتمل أبدًا ..

* * *

١٤ ــ العودة ..

تمَّ الطلاق بين (محمد) و (إنجى) ..

لم يكن الأمر بتلك السهولة ، التى استغرقها انتقالك من آخر كلمات الصفحة الماضية ، إلى بداية هذا الفصل ..

لقد كان أمرًا عسيرًا ..

عشرات من أفراد الأسرتين تفاوضوا فى الأمر ..

عشرات من الأقارب تدخلوا كوسطاء ..

مئات من الخلافات والمناقشات والمحاورات ..

ودون الدخول فى تفاصيل صعبة ومعقَّدة ، يكفى أن نقول أن الطلاق قد تمَّ فى النهاية ..

وعادت (إنجى) حُرَّة ..

وعلى الرغم من قسوة التجربة ، إلا أن (إنجى) بدت شديدة الفرحة والسعادة بعد طلاقها ..

كانت تمامًا كطير تحرَّر من قفصه ..

وعندما زارتها (فاتن) ، عشيَّة الطلاق ، احتضنتها (إنجى) فى سعادة ، وهى تهتف :

ــ تحرَّرت يا (فاتن) .. تحرَّرت .

أجابتها (فاتن) فى ارتياح :

ــ أأنت سعيدة إذن يا (إنجى) ؟

هتفت :

ــ سعيدة ؟!.. بل قُولى فى قمة السعادة .

ابتسمت (فاتن) فى حنان ، وهى تستمع إليها وهى تستطرد :

ــ لقد كان كابوسًا يا (فاتن) .. أسرة معقدة ، متخلِّفة الفكر ، وشاب عصبىّ عديم الشخصية .. يا إلهى !!.. حمدًا لله .

استمعت إليها (فاتن) ، دون أن تقاطعها ، طِيلة المساء ، وهى تشفق عليها فى أعماقها ..

تشفق عليها من مساوئ الطلاق ..

ولقد عانت (إنجى) من ذلك بالفعل ..

فجأة ، تغيَّرت معاملة والديها بعد طلاقها ..

فجأة ، أصبحا يحيطانها بسياج القواعد والمفروضات ..

وعندما حاولت (إنجى) مقاومة ذلك واجهتها أُمها فى صرامة وحزم ، قائلة :

ــ لا يا (إنجى) .. لن أسمح لك بمخالفة أوامرى هذه المرَّة .. ستعودين إلى المنزل قبل العاشرة مساءً .

هتفت معترضة :

ــ لماذا ؟.. إننى أعمل فى صيدلية ، وقد تُغلق أبوابها بعد هذا الموعد .

أجابتها أمها فى عِناد :

ــ ولو .

هتفت فى حدّة :

ــ ولماذا هذا التعنُّت ؟

أجابتها أمها فى حزم :

ــ لأنك الآن لست كالماضى .. إنك مطلّقة ، ونظرة المجتمع للمطلّقات نظرة متخلّفة ، ولكنها تحكم حياتهن تمامًا .

ومرّة أخرى كرّرت (إنجى) عبارتها التقليدية :

ــ فليذهب المجتمع إلى الجحيم .

وظلّت تقاوم التقاليد كعادتها ..

وعادت إليها تلك الابتسامة المشرقة ..

وعادت الضحكة إلى العينين العسليّتين ..

وذات يوم عادت إليها أختها (مروة) باكية ، فسألتها فى جزع :

ــ ماذا بك ؟.. ماذا حدث ؟

بكت (مروة) وهى تقول :

ــ (هانى) .. لقد تخلّى عنّى .. لقد تركنى وارتبط بواحدة من أعزّ صديقاتى .

هتفت (إنجى) فى ذُهُول :

ــ تركك ؟!

راحت (مروة) تبكى فى حرارة ، وهى تقول :

ــ نعم يا (إنجى) .. تركنى دون أن أخطئَ فى حقّه .. خاننى مع أعزّ صديقاتى .. لست أدرى كيف فعل هذا .. لقد كنت أحبّه بكل جوارحى .. إننى حتى لا أتصوّر نفسى زوجة لسواه .

ضمّت (إنجى) شقيقتها إلى صدرها ، وربّتت على كتفها فى حنان ، وهى تقول :

ــ يبدو أن هذا قدرُنا يا (مروة) .. أن يتخلى الجميع عنا .

ومع دموع أختها ، راحت دموعها تنسال فى صمت ..

وراح عقلها يسترجع حياتها كلها ..

لقد تخلّى عنها الجميع ..

(مجدى) ..

و (ماهر) ..

و (منير) ..

وحتى عندما تزوّجت ، تخلّى عنها زوجها ..

أين الخطأ يا تُرى ؟..

أهو فيهم ؟

أم فيها ؟..

من منهم على حقّ ؟

لقد تخلّى عنها (مجدى) ؛ لأنها رفضت أن تتجاوز حدود الأدب ..

وتخلى عنها (محمد) مدّعيًا أنها تجاوزتها ..

وتركها (ماهر) ؛ لأنها رفضت طاعته ..

و (منير) ؛ لأنها أفرطت فى الطاعة ..

أين الطريق الصحيح إذن ؟..

أين الحقّ ؟..

هل من الخطإ أن يتبع الإنسان عقله ؟..

هل من الخطإ أن يقاوم التقاليد ، حتى ولو كانت عتيقة بالية ؟

رفض عقلها الاقتناع بأن هذا خطأ ..

إنها ستظل على حالها ..

ستحيا كما يرى عقلها ..

ستقاوم التقاليد ..

ستقاتل كل القواعد البالية ..

كل القضبان العتيقة ..

وانطلقت (إنجى) فى حياتها ..

ومع مرور الوقت ، نسى والداها حقيقة كوْنها مطلّقة ..

وعادت كما كانت من قبل ..

وذات يوم ، وهى تعمل بانهماك فى تلك الصيدلية ، التى حملت فيها لقب المدير المسئول ، سمعت صوتًا هادئًا يقول :

صباح الخير يا (إنجى) .

ارتجف جسدها كله لسماع الصوت ، وترددت لحظة ، قبل أن ترفع عينيها إلى صاحبه ، مغمغمة فى انفعال :

ـــ (منير) ؟!

كان يقف أمامها بقامته الطويلة ، ووجهه النحيل ، وهو يقول برصانته :

ـــ نعم يا (إنجى) .. هو أنا .

غلّفهما الصمت بعدها لحظة ، بغلاف سميك قوى ، قبل أن تقول هى فى سرعة :

ـــ تفضّل يا (منير) .. اجلس .

جلس على المقعد المقابل لها فى هدوء ، وهو يلتهم وجهها بنظراته ، فتصاعدت ضربات قلبها ، وارتفعت حُمرة الخجل والاضطراب إلى وجنتيها ، وهى تغمغم مرتبكة :

ـــ كيف حالك ؟.. وكيف حال (منى) ؟

أجاب فى خُفوت :

ـــ لم يَعُد لى شأن بـ (منى) .

سألته فى دهشة :

ـــ لماذا ؟.. هل تشاجرتما ؟

هزَّ رأسه سلبًا ، وقال :

ـــ لا .. لقد انفصلنا .

خُيِّل إليها أنها لم تفهم عبارته ، فغمغمت فى دهشة :

ـــ ماذا ؟!

أجاب فى هدوء :

ـــ انفصلنا .. فسخنا خِطْبتنا .

تراجعت فى دهشة عارمة ، وهى تردِّد :

ـــ ولكن لماذا ؟.. وكيف ؟.. لقد كان ينبغى أن يتمَّ زفافكما بعد شهر واحد .

قال فى حزم :

ـــ كان من المستحيل أن يتمَّ هذا .

سألته فى دهشة :

ـــ لماذا ؟

تطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـــ لأننى لا أحب (منى) يا (إنجى) .. إننى أحب إنسانة أخرى .

ارتجف قلبها عندما قرأت الجواب فى عينيه ، قبل أن تقول شفتاه :

ـــ أنت .

* * *

١٥ ـــ بلا أمل ..

« (منير) ؟!.. » ..

هتفت (فاتن) بالاسم فى دهشة ، قبل أن تستطرد فى حماس :

ـــ (منير) يطلب الزواج منك ؟!.. حقًّا ؟!!

صاحت (إنجى) فى سعادة غامرة :

ـــ تصوَّرى يا (فاتن) .. لقد عاد .. عاد إلىَّ .. إنه الشخص الوحيد الذى أحببته من كل قلبى .. تصوَّرى .

ابتسمت (فاتن) فى حنان لسعادتها ، وهى تقول :

ـــ كم يُسعدنى ذلك يا (إنجى) .. كم يُسْعِدنى ذلك .

هتفت (إنجى) فى فرحة عارمة :

ـــ أتعلمين .. سيأتى الليلة لخطبتى .

هتفت (فاتن) فى حماس :

ـــ الليلة ؟!

أجابتها (إنجى) كطير مغرِّد :

ــ نعم .. الليلة يا (فاتن) .

وأتى (منير) ..

أتى وحده يخطبها ..

واستقبلته أمها بابتسامة هادئة ، واستقبله والدها فى رصانة ، وجلست هى معهم سعيدة ، تملأ ابتسامتها وجهها ، وتطل ضحكتها من عينيها العسليّتين ، حتى قال (منير) :

ــ لقد أتيت فى الواقع لطلب يد (إنجى) .

ابتسم والد (إنجى) ، وهو يقول :

ــ ولماذا لم يأتِ والداك معك يا بنىّ ؟

أجابه (منير) :

ــ والدى راحل ــ رحمه الله ــ وأمى سيّدة مريضة .

قال الوالد :

ــ ولكن التقاليد يا ولدى ..

هتفت (إنجى) :

ــ أستحاصر هذه التقاليد حياتنا كلها ؟

عقد والدها حاجبيه ضيقًا ، وقال :

ــ فيما يختص بالزواج ، نعم ، فمن الطبيعى أن أتأكد من أن والدته توافق على زواجه من ابنتى على الأقل .

احتقن وجه (منير) لحظة ، ثم قال :

ــ لا بأس يا عماه .. ستصحبنى والدتى فى الزيارة القادمة بإذن الله .

ابتسم الوالد قائلًا :

ــ فى هذه الحالة ، لست أظننى أرفض طلبك يا ولدى .

رقص قلب (إنجى) فرحًا ..

لقد وافق والدها ..

إنها ستتزوَّج (منير) ..

ستتزوَّج الشخص الوحيد ، الذى أحبّته فى حياتها كلها ..

وغادر (منير) المنزل ، مع وعد بالعودة مع أمه ..

ولكنه لم يَعُد طويلًا ..

وبدأ القلق يتسرَّب إلى نفس (إنجى) ، وسألت صديقتها (فاتن) :

ــ ماذا تظنّين سبب تأخره يا (فاتن) ؟

أجابتها (فاتن) فى حَيْرَة :

ــ لست أدرى .. ربّما .....

بترت عبارتها بغتة ، على نحو جعل (إنجى) تهتف :

ــ ربّما ماذا ؟

تردَّدت (فاتن) لحظة ، ثم قالت :

ــ اسمعى .. إن شقيقته طبيبة زميلة .. سأسألها عن سرّ تغيُّبه .

هتفت (إنجى) فى لهفة :

ـ نعم يا (فاتن) .. أرجوك .

وذهبت (فاتن) لسؤال (نجوى) ، شقيقة (منير) ، وهى تخشى فى أعماقها أن يكون سبب تأخُّره مرتبطًا بمخاوفها ..

ولقد كانت على حقّ ..

إنها لم تكد تسأل (نجوى) ، حتى هتفت فى حدَّة :

ـ لن يذهب إليها أبدًا .

سألتها (فاتن) فى قلق :

ـ لماذا ؟

أجابتها فى صرامة :

ـ لأن أحدًا منَّا ، أمّى ونحن ، لا يوافق على زواجه منها .

قالت (فاتن) معترضة :

ـ لماذا ؟.. (إنجى) فتاة رائعة ، و .....

قاطعتها فى حدَّة :

ـ إنها فتاة سيِّئة السُّمعــة .. هل نسيت قصتها مع (مجدى) ، عندما قبَّلها فى الأقصر ، واستهتارها الدائم بكل القواعد والتقاليد ، وطلاقها .

هتفت (فاتن) مدافعة :

ـ كل هذا كذب .. (إنجى) أشرف فتــاة رأيتها فى حياتى .

أجابتها فى صرامة :

ـ زوجيها شقيقك إذن .

قالت (فاتن) فى حزم :

ـ ليت لى شقيقًا ، لكنت زوَّجتها إيَّاه بكل فخر وسعادة .

هتفت بها (نجوى) :

ـ افعلى ، واتركينا نحن لحالنا .. إن شقيقى (منير) لن يتزوَّج (إنجى) أبدًا .

قالت (فاتن) :

ـ حتى ولو كان يحبّها ؟

أجابتها فى صرامة :

ـ هذا لو أنه لا يحب أمه ، فلقد أقسمت أمّى أن تتبرَّأ منه لو فعل .

هذا ما كانت تخشاه (فاتن) ..

تاريخ (إنجى) ..

صحيح أنها تعرف جيِّدًا حقيقة (إنجى) ..

ولكن الآخرين لا يعلمونها ..

لقد هزمها المجتمع ..

لم يذهب هو إلى الجحيم ، بل أرسلها إليه وبقى ..
أرسلها إلى جحيم ثورتها على التقاليد ..
ولم تخبر (فاتن) (إنجى) بما سمعته من (نجوى) ..
لم تجرؤ ..
وظلّت (إنجى) تبحث عن سرّ غياب (منير) طويلًا ..
ثم التقت به ..
هو سعى إليها شاحب الوجه ، مضطرباً ، وقال :
ـ معذرة يا (إنجى) .. لست أدرى كيف أشرح لك الأمر .
هتفت به فى جَزَع :
ـ ماذا حدث يا (منير) ؟.. أين كنت ؟
أجابها فى صراحة :
ـ اسمعى يا (إنجى) .. أمّى ترفض زواجى منك .
تراجعت كالمصعوقة ، وهى تهتف :
ـ لماذا ؟
لوّح بكفّه ، قائلًا :
ـ ليس هذا هو المهم .. المهم أن نجد وسيلة للزواج .
سألته كالذبيحة :
ـ كيف ؟

مال نحوها ، وهو يقول فى انفعال :
ـ اسمعينى جيّدًا .. لقد أعْدَدْت كلّ أوراق للسفر إلى قطر عربى ، حيث ينتظرنى عمل رائع ، ما رأيك أن نتزوّج سرًّا .
غمغمت فى مرارة :
ـ كزوجة يرفضها أهلك ؟!
أجاب فى حدّة :
ـ زواجنا سيضعهم أمام الأمر الواقع .
قالت :
ـ وسيضعنى أنا فى موقف مهين .
هتف :
ـ دَعْكِ من المواقف .. المهم أن نتزوّج .
هزّت رأسها سلبًا ، وقالت :
ـ لا يا (منير) .. ليس المهم هو أن نتزوّج فحسب .. بل ألا أمرّ بتجربة زواج فاشلة أخرى .
وصمتت لحظة ، ثم أضافت :
ـ ثم إن أبى وأمّى لن يقبلا زواجًا كهذا
هتف :
ـ حسنًا ، ما رأيك أن أسافر أوّلًا ، ثم نتزوّج عن طريق توكيل رسمى ، و .....

قاطعته فى مرارة :

ـ ولماذا لا نتزوَّج هنا ، ثم نسافر معًا ؟

عقد حاجبيه فى حدَّة ، دون أن يجيب ، فأضافت فى ألم :

ـ أتخشى مواجهة أهلك بزواجك منِّى دون موافقتهم ؟

لم يجب بعض الوقت ، ثم قال فى حدَّة :

ـ لا يوجد حل آخر .

قالت كمحاولة أخيرة :

ـ اسمع يا (منير) .. لماذا لا تسافر وحدك ، وتحاول عن طريق الخطابات إقناع أهلك بزواجنا ، وعندما يوافقون نتمّ الزواج ؟

أشاح بوجهه عنها لحظات ، ثم غمغم :

ـ ربَّما .

ثم أضاف فى توتُّر ملحوظ :

ـ وهل ستنتظريننى حينذاك ؟

أجابته فى حرارة :

ـ أعِدُك أن أفعل .

نهض من مقعده ، وألقى عليها نظرة طويلة ، وهو يقول :

ـ نعم .. أظن هذا هو الحل الوحيد .

نهضت تقول فى حنان :

ـ سأنتظرك يا (منير) .

ألقى عليها نظرة طويلة أخرى ، وقال :

ـ انتظرينى ..

وغادر المكان فى خطواته الهادئة التقليدية ..

والزمن يمضى ..

وكل ما يحيط بـ (إنجى) يتغيَّر ..

شقيقتها (إلهام) أنجبت طفلًا جميلًا ، على الرغم من شجارها الدائم الذى لا ينقطع ، مع زوجها وعائلته ..

وشقيقتها (مروة) تجاوزت صدمة تخلِّى (هانى) عنها ، وتمت خِطبتها لشاب وسيم هادئ الطباع ..

وأمها نالت شهادة دبلوم السكرتارية من الجامعة الأمريكية ، وانهمكت فى عمل جديد ..

حتى صديقتها (فاتن) ، أصبحت زوجة وأُمًّا ..

كل الأمور تتبدَّل ..

حتى (إنجى) ..

لم تَعُد كما كانت ..

لم تَعُد مرحة نشطة ..

لم تَعُد عيناها تحملان تلك الضحكة ..

فقدت العيون بريقها ، وفقدت الشفاة ابتسامتها ..

وصارت (إنجى) عصبيَّة مُسرفة فى التدخين ..
ونحلت كثيرًا ..
ولأوَّل مرَّة فى حياتى ، أراها حزينة واجمة شاردة هكذا ..
الشىء الوحيد الذى تُوليه (إنجى) اهتمامها الآن ، هو صندوق الخطابات ..
وأحيانًا الهاتف ..
وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، ما زالت (إنجى) تنتظر ..
تنتظر عودة (منير) ..
وأحيانًا تبدو لها هذه العودة بعيدة كالأفق ..
وأحيانًا أخرى تبدو لها أقربْ من أنفاسها ..
ولكن الأمل فى نفسها يضعف يومًا بعد يوم ..
والحياة تمضى ..
وهى تخشى ذلك اليوم ، الذى قد تجد نفسها فيه وحيدة ..
و (بلا أمل) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٧٨٤٨



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

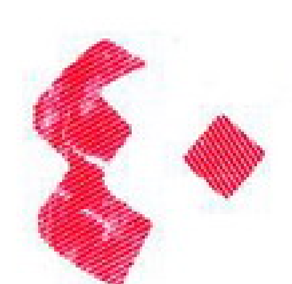
المؤلف



د. نبيل فاروق

بلا أمل

حاولت (إنجى) طيلة عمرها أن تتحدَّى إعصار التقاليد الجارف، وأعطتها الحياة الحب بلا حدود، ولكنها فى كل مرَّة كانت تصطدم بذلك الجدار الصلب من القواعد والتقاليد، فهل تنجح أخيرًا فى تحطيمه، أم يبقى حُبها (بلا أمل)؟!..



الثمن فى مصر ٢٠٠

ومايعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم